

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

ساحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشوارع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ ملياً

إروعمونات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦١٩ « القاهرة في يوم الإثنين ٣٠ جادى الأولى سنة ١٣٦٥ - ١٤ مايو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

التربية السياسية

للأستاذ عباس محمود العقاد

ولكنها عبرة من عبر التاريخ الكبرى تساق إلينا نحن الشرقيين خاصة لتعلم هوان العارف والصناعات ووفرة النوايع وكثرة المتعلمين إلى جانب التربية السياسية التي تتوارثها الأمة حيلة بعد حيلة في ظل الحرية والمعاونة البصيرة بين الرعاة والرعية فالأمة الألمانية قد استوفت كل منزلة من مزايا العلم والصناعة والسياسة إلا هذه المنزلة التي لا غنى عنها، وهي منزلة التربية السياسية وأولى خصائص هذه المنزلة هي الاستقلال بالرأى في محاسبة الحكام، أو هي اشتراك الجميع في الحكم بدهاء المعاونة التي تنشأ من طول المراتة وكثرة المراس

فالأمة الإنجليزية مثلاً قد نشأت في جزيرة يحوطها البحر، فاستغنى ملوكها عن الجيوش القائمة الكبيرة التي يدفع بها الملك خطر العدوان من جيرانه، وأمن رؤساء الشائر أن يسومهم الملك طائفة لا مراجعة فيها ولا مشاورة، لأنهم كانوا جميعاً في عشايرهم بمثابة الملوك الصغار، وكان لهم من الجند والأتباع ما يستعينون به على مكافحة المسف والطغيان كلما تجاوزا حدود المصلحة الكبرى التي يرتضونها أجمعين

وكان الإنجليز أمة تجار وبحارة ينفردون بأنفسهم في لجج البحار. فتمتعوا من التجارة مساومة الآخرين، وأن الأمر لا يؤخذ في الدنيا بالنصب والإكراه، وتعلموا من البحر كيف

أحسنتم في كلكم التي شيعتم بها عهد الدكتاتورين هتلر وموسليني، وأشرتم إلى موضع العجب العاجب من أمر الأمة الألمانية التي يستطيع رجل كسائر الرجال... « فيه الخطل والجهل والعجز والهوى، وليس فيه إيمان لوثر، ولا سياسة بيمارك، ولا أدب جوته، ولا فلسفة نيتشه، أن يسيطر على ستين مليوناً من الجنس الأوربي الممتاز، وأن يسخرهم اثني عشر عاماً في ابتكار أقطع ما يتصور ذهن الجبار المجرم من وسائل الفتك وآلات الدمار »

والحق أن أعجوبة الأعاجيب في هذه الأمة الألمانية أنها على وفرة نوابها وشموع التعليم بين طبقاتها وازدهار المعارف والصناعات فيها، لا تزال تستسلم لطاغية بعد طاغية سواء من عواهلها أو من الغامرين بالحكم فيها، ثم تمضى معهم في مخاطرة بعد مخاطرة من أيسر شرورها هزيمتهم وامتلاء الأرض كلها بالوجل والبلاء بضع سنوات

ينفردون بمكافحة الأخطار ، وكيف يستقلون بأرائهم في مداورة الصعوبات

وجيل بعد جيل بعد ثالث بعد رابع على هذه الوتيرة كفيّة بترية الاستقلال والخبرة بمداولة الشؤون وإقامة الحدود المعقولة بين الحاكم والمحكوم

لكن الألمان على تقيض ذلك ، قد شاء لهم سوء الحظ أن يقيموا في الرقعة الوسطى من القارة الأوروبية ، وكانوا في حاجة دأمة إلى الطاعة العسكرية ، لأنهم ينفرون على جيرانهم وبغير جيرانهم عليهم في كل حين ، ولم يزالوا على ذلك عرضة لسطوات الأقوياء كلما ظهروا من حولهم في الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال . فمن ظهر في الشرق أخذهم في طريقه غرباً إلى حيث يريد الفتح أو القتال ، ومن ظهر في الغرب أخذهم في طريقه شرقاً كما يشاء وحين يشاء ، وكذلك كان يصنع بهم من يمتد بسلطانه من الجنوب إلى الشمال ، أو يمتد به من الشمال إلى الجنوب

وكانوا من قديم عصورهم قبائل متفرقات تعمل في الرعي والقتنص والزراعة ، فعاشوا عيشة القبائل الأولى وهي عيشة طاعة وتسليم ، وجاءتهم النظم العسكرية التي لا فكاك منها ، فزادتهم طاعة على طاعة وتسليماً على تسليم

وقد تعددت ولاياتهم حتى زادت على ثلثمائة في نهاية القرون الوسطى ، ولم تنقص هذه الولايات عن مائة وسبعين في أيام الثورة الفرنسية ، ثم تجمعت بعض التجمع في زعامة ولاية من أكبرها في العدة العسكرية ، ولكنها من أقلها نصيباً في الثقافة والأخلاق الاجتماعية ، وهي بروسيا التي عرفت في تاريخها بأنها آخر القبائل الجرمانية حضارة وأقلها دماثة وأدباً ، فطبتهم من جديد بطابع الإذعان الذي لا يعرف المراجعة ولا يؤمن بتعدد الآراء

وقد ثار الألمان على الكنيسة أو على البابوية ، ولكنهم لم يثوروا قط على طغيان الحكومات وعسف القادة ، وإنما ثاروا على البابوية لأنهم كانوا في طاعة القادة والحكومات

قلنا في كتاب تذكار جيقي الذي ظهر منذ بضع عشرة سنة : « ... يجب أن تذكر كذلك في هذا الصدد أن مبادئ الديمقراطية

حين وصلت إلى ألمانيا كانت مبادئ عدوها المنير عليها المذل لكبريائهما : كانت مبادئ الجيش الفرنسي والدولة الفرنسية .

فليس بعجيب أن يتلقاها فلاسفة الألمان بشيء من الفتور والإعراض ، وأن تمنح بهم الوطنية إلى إنكار الديمقراطية في إبان التنافس والملاحاة بين الشعبين ... على أن السبب الذي يتصل بجميع هذه الأسباب ويكاد يدرجها كلها في أطوائه هو حرب الثلاثين المشهورة ، فإن هذه الحرب الطحون قد دمرت ألمانيا في الشمال والجنوب تدميراً ، وعطلت البحث والأدب فيها جيلين متوالين ، ورزحت استقلال التفكر فيها خلال القرن السابع عشر الذي نشطت فيه دعوة الفكر الحر في الأمم الأوروبية الكبرى « من هذه العوامل التي فصلنا بعضها في « تذكار جيقي » وبعضها في كتاب « هتلر في الميزان » أصيبت الأمة الألمانية بتلك الآفة الجامحة وهي نقص « التربية السياسية » وكان بعضها من صنع يديها وبعضها من صنع الحوادث والملاسات .

لا جرم يطيع الألمان حكامهم تلك الطاعة العمياء ويمتقدون فيهم كما يمتد الأطفال في آبائهم « إن أبانا لملي كل شيء قدير » . وقد خدعهم في هتلر - فوق خداع التربية السياسية الناقصة - أنه نجح في ضم السار والرين والنمسا وبلاد السوديت بغير قتال ، فغيل إليهم أنه يلعب بأوروبا وبالعالم وأنه يملك من قوة الدهاء وقوة السيف ما يخضع له أوروبا إذا خالفته ويخضع له العالم كله إذا وقف في طريقه .

وذلك هو الضلال الأكبر في القياس والتفكير .

لأن مصطفي كلاً - كما قلنا في كتاب هتلر في الميزان - « لم ينفق جزءاً من ألف من ربوات الملايين التي أنفقها هتلر على التسليح ، واستطاع مع ذلك أن يفتح الآستانة فتحاً ثانياً وفيها جيوش الحلفاء ، وأن يعيد إليها الحصون التي منعت إقامتها بعد هزيمة الحرب العظمى ، وأن يلقي الامتيازات الأجنبية والمعاهدات التي سبقت ألمانيا الحديثة ونشأت من أيام سليمان الكبير ... ولم ينجح مصطفي كلاً ولا هتلر فيما صنعا لأنهما أقوى من الدول التي كانت تأتي ما صنعا ، وإنما سر البألة كله صعوبة الإقدام

تديرها لتعود إلى إدارتها على الأدوية والكيميات ، وإنما كان المقول أن تترك هذه الصناعة لألمانيا كما تركت صناعة الألان للدعرك مع وفرة الألان في المرامي الإنجليزية والفرنسية . وما اضطرت أيم أوروبا وأمريكا قط إلى استخراج مادة كيميائية إلا أنقشها كما يتقنها الألان أو فوق إثنان الألان .

والنقص في التربية السياسية هو علة النقص في استقلال الرأي حيث كان ، ولو تجاوز مجال الحكم والتورى إلى مجال الرأي والابتداع .

والنقص في التربية السياسية هو الذى ضيّع على هتلر وأتباعه كل ما استكملوه من العدة الحربية ، فليكن لنا في ذلك عبرة نحن أبناء الشرق المتردد بين المذاهب والآراء . فلا نعدل بالحرية بديلاً من الحريات التى يقال إنها تنوب في عهد الطغيان عن الحرية والاستقلال .

عباس محمود العقاد

على حرب عالمية سواء كان التقدم عليها من الحكام الدستوريين أو من الحكام المستبدين ، فالذى صنعه هتلر إذن هو أنه غير هذه الحالة بسياسة الخرقاء وجعل الصعب سهلاً على الدول في مدى ثلاث سنوات ، وما ثلاث سنوات في تواريخ الأمم وحوادث الدنيا ؟ ... »

نعم هذا هو الضلال الذى طير صواب هتلر فطار منه صواب الألمانيين ، لأنهم لا ينظرون إلا كما ينظر القادة والرعماء في أسفر الهنات وأخطر الأمور .

لقد عصفت التربية السياسية الناقصة بكل فضيلة من فضائل هذه الأمة الألمانية ، وحرمتها ملكة الابتداع حتى في العلم والصناعة . فاشتهر الألان بأنهم محسنون مكملون لما يخترعه الآخرون ولم يشتهروا بأنهم مخترعون مبدعون . وتبين ذلك في الطيارات والدبابات التى هى عذبهم في مقاومة الأساطيل البحرية ، فإنهم كانوا يشتغلون بالمناطيد يوم كان العالم كله يشتغل بالطيارات على اختلافها ، ولما التفتت الأمم إلى الطيارات واستخدامها في الحرب كره أخرى كانت طيارات الألان دون غيرها في الصناعة والقيادة والتأثير .

ولقد شاع بين الشرقيين كاشاع بين غيرهم أن هؤلاء الألان يحسنون ما لم يحسنه سائر الأوروبيين ، لأنهم يصنعون الأدوية والمواد الكيماية التى تنقطع عن العالم بانقطاع مواصلاتهم فلا تنوعها الأدوية من سائر البلدان .

وهو وهم فارغ كان يسهل علينا نحن المصريين أن ندرك حقيقته إذا التفتنا إلى ما يجرى في بلادنا ونصنعه بأيدينا . فنحن نستورد القمح والدقيق وبلادنا تستورد القمح وتطحن الدقيق ، وإنما نفعل ذلك لأن زراعة القطن أنفع لنا - أو كانت أنفع لنا - من زراعة الحبوب ... فليس في الأمر عجز ولا قصور .

وكذلك الألان والصناعات الكيماية في القرنين الماضيين ، فإن علم الكيمياء الحديث قد راج في أوروبا يوم كانت البلاد الإنجليزية والبلاد الفرنسية ذوات مصانع ومنشآت تدار على نسج الصوف والقطن وعلى مصنوعات المعادن والأخشاب ، فلم يكن معقولاً أن تلقى هذه المصانع والمنشآت وأن تحل الشركات التى

ظهرت الطبعة الثانية من :

فلسفة الاخلاق في الاسلام

وصلاحها بالفلسفة الاغريقية

للاستاذ محمد يوسف موسى

الكتاب الأول في فلسفة الأخلاق المقارنة ، فكان حدثاً ملحوظاً في الإنتاج الفلسفى المعاصر ، وفيه رأى الحق الصريح في فلسفة النزاع وابن عربى وغيرهما من مفكرى الإسلام .

الثمن ٢.٥ قرشاً والبريد ٥٣ مليماً

الناشر

دار الكتب الأهلية

ميدان الأوبرا بمصر تليفون ٢٩٥٦٤

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الأريب

الأستاذ محمد إسحاق النشاشيبي

— ١ —

كان العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام عميد كلية الآداب قد نبه على أخطاء في الجزء الأول والجزء الثاني من هذا الكتاب، ثم شغلته الذي هو أهم . وفي أثناء مراجعة في أجزاءه لحث العين ما أنا ذا كرتباً منه اليوم . والكتاب — كما يلوح — فيه ما فيه ، وإن بالغ في تحقيقه العلماء الفضلاء من مصححيه . ومثل هذا المرجع جدير بالضبط المحكم ، والإصلاح الأكل .

* في جزء ١٠ ص ٢٥ في قصيدة ابن السبل البندادي :

تبادي ثم تخنس راجعات وتكنس مثلاً كنس الصوار
وأيام تَعَرَّفْنَا مَداها لها أنفاسنا أبدأ شفار
وكم من بعدما كانت نفوس إلى أجسامها طارت وطاروا
ولا أرض عصته ولا سماء فقها يقول أنجمها انكدار
قلت : (تبادي) في البيت الأول هي (تباري) أي تباري
حذفت الأولى جوازاً .

(وتعرفنا مداها) في الثاني هي (تَعَرَّفْنَا مَداها) والذي مع
جموع اللدية وهي الشفرة ، و (تعرفنا) أي تتعرفنا حذفت التاء
الأولى جوازاً : وفي اللسان : « عرفت العظم وتعرفته إذا أخذت
اللحم عنه بألسناك نهشا » وعجز البيت يثبت المعنى الحق .
والبيت الثالث هذه روايته الصحيحة :

وكم من بعدما ألفت نفوساً جسوماً عن مجامعها تظار^(١)
وليست (نفوس) تمييزاً لكم كما جاء في الحاشية .

والبيت الرابع عجزه : فقيم يقول أنجمها انكدار ؟

* في ج ١٠ ص ٣٥ وقال (يعني ابن السبل) :

وكأنما الإنسان منا غيره متكون والحسن منه معار
متصرف وله القضاء مصرف ومسير وكأنه مختار

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٤٨

وجاء في حاشية البيت الأول « كانت في الأصل (والحسن فيه) ولكن لا يستقيم المعنى إلا بما غيرت إليه . وجاء في حاشية البيت الثاني : « كانت في الأصل (ومغير) ولكنها لا تقيم معنى البيت قلت : البيتان في مقطوعة أرويهما تامة^(١) ؛ فإليها من الشعر البارع الحكيم ، وفيها الرواية الصحيحة للبيتين ، وإن قوله (الحسن فيه معار) بجواب قوله (وكأنما الإنسان فيه غيره) وأما الحسن في الإنسان وفي غير الإنسان .. فلن يكون في كل حال إلا حقيقة لا استعارة ولا مجازاً ...

وكأنما الإنسان ، فيه غيره متكوناً ، والحسن فيه معار
متصرفاً وله القضاء مصرف ومكلفاً وكأنه مختار
طوراً تصوبه المخطوط وتارة خطأ تحيل سوابه الأقدار
تعمى بصيرته ، ويصير بمدما لا يسترد الفائق استبصار
فتراه يؤخذ قلبه من صدره ويرد فيه وقد جرى المقدار
فيظل يضرب بالملامة نفسه ندما إذا لعبت به الأفكار
لا يعرف الإفراط في إرادته حتى يبينه له الإصدار
وقد ذكرني هذا الشعر بأبيات لبشار حكيمات :

طُبت على ما في غيري غير هوأى ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى ، وأعطى ولم أرد وقصر على أن أنال الغنيا
فأصرف عن قصدي وعلمي مقصر

وأسمى وما أعقبت إلا التمجيباً

* في ج ١٢ ص ٢٢٦ ومنه (أي من شعر علي بن أحمد بن
سلك القالي بالقاء) :

تصدّر للتدريس كل مهوس بليد يسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزلها كُلاها وحتى ساهما كل مفلس

قلت : في رواية (تسمى) مكان (يسمى) وجاء في الحاشية :
« وربما كانت (مهوش) بالشين » والصحيح هو (مهوس) كما
روى في كثير من كتب الأدب .

والقول في البيت الثاني (فحق لأهل العلم) هو (فحق
لأهل العلم) وهذا ما قاله قارض الشعر وأراد . وهذا أسلوب العربية
في القديم في هذا المعنى . وفي التاج عن الأساس « وأما حقاً

(١) وهي رواية ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ج ١ ص ٢٥٠

نعالى لها عبداً ، ولم يجعلنا لها عبداً . الله والنبي ، والميد العربي ،
والتكبير الجدير ، وتلك الجماهير ، والملائكة بعد ذلك ظهير ،
والرحمة صوباً وصفاً ، والبركات فيضاً وفضاً ، والجنة ومراطها ،
والنجاه وأشراطها ، والموسم الطاهر من لغو الحديث . ذلك ،
لأما شرع الشيطان لأوليائه ، نار ليسهم تشب ، ولغة عليهم نسب ،
وخبرة متاعها قليل ، وفي الآخرة خازنها طويل . هذا هو الميد ،
وذلك هو الضلال البعيد ...

* في ج ١٦ ص ٩٢ فأنابن حشا خافقة^(١) ، وجمعة مهراقة
قلت : هذا في رسالة للجاحظ إلى إبراهيم بن الدبر . واليقين
أن القول هو (فأنابن حشا خفاق ودمع مهراق) والحشا مذكر
لا مؤنث ، والدمع في هذا المقام خير من الدمة . وإن قال
أبو عثمان : دمة مهراقة فلن يقول حشا خافقة ولا خفاقة .

* في ج ١٦ ص ١٤٩ قال الأصمعي وحدثنني عيسى بن عمر
قال : لقد كنت أكتب بالليل حتى ينقطع سؤتي أي وسطى
قلت : ضبطت (سؤتي) بفتح السين وسكون الواو ؛ وإنما
هي (سؤاتي) وسواء الشيء وسطه لاستواء المسافة إليه من
الأطراف كما في النهاية . وفيها في صفته (صلى الله عليه وسلم)
سواء البطن والصدر ، أي هما متساويان لا يبنوا أحدهما عن الآخر .
وفي الفائق : بطنه غير مستفيض فهو مساو لصدره . وفي النهاية :
ومنه حديث أبي بكر والنسابة : أمكنت من سواء الثغرة أي
وسط ثغرة النحر .

* في ج ١٥ ص ٧٢ وكأنها عنده رواية عضدها القياس
وكان شيخنا موهوب ينسب ذلك عليه
قلت : ضبطت (عضدها) بتشديد الضاد ؛ وإنما في اللفظة
عضده^(٢) وعاضده . وعضد الشدد فعل لازم وهو لا يعنى المعاونة
في التاج : « ووي فاعضد ذهب يمينا وشمالا كعضد تعضيدا ،
وهذا مما استدرك به على اللسان » وذهب يمينا وشمالا يعنى السهم
وضبطت (ينسب) بكسر العين وهي بالفتح من حد سعى .

(١) وردت بهذه الصورة في « رسائل الجاحظ » ص ٢١٤

(٢) ومن مجاز المجاز عضده كعضد أغانه ونصره . وفي
كتب الأمثال ما يقتضى أنه صار متعارفاً كالحقيقة . قالوا عضده إذا صار له
عضد أي ميماً وناصراً ، وأصل العضد في الدين تاستير للمعين ، ثم استعملوا
من معناه الفعل ثم شاع حتى صار حقيقة عرفية . قلت : ولقد لم يذكره
الزمخشري في المجاز (التاج) .

لك أن تفعل فمن حق الله الأمر أي جملة حقاً لك أن تفعل وأثبت
لك ذلك وهو تحقيق نفيس « وفي اللسان : « قال الفراء : حق لك
أن تفعل ذلك وحق ، وإني لمحقوق أن أفعل كذا فإذا قلت حق
قلت لك ، وإذا قلت حق قلت عليك » فإن قيل : ألا يحق لنا
أن نقول اليوم : حق للعلماء أن يتمثلوا الخ .. قيل لنا أن نقول
وليس لنا أن نقول ...

* في ج ١٥ ص ٢١٠

وله (لابي على النطقي) من قصيدة في عضد الدولة يذكر
الصدق :

ما زلت تنصف في قضايك الملا قل لي : فما بال الضحى يتظلم ؟
أهديت رونقه إلى جنح الدجى فاعتق أنهب وهو طرف آدم
حتى كأن الليل صبح مشرق وكأن ضوء الصبح ليل مظلم
هي ليلة لبست رضاك فأشرقت من بعد ما كانت بسخطك تظلم
ما كان في ظن امرئ من قبلها أن الملوك على الميالي تحكم
قلت : ضبطت (الصدق) بتشديد الصاد وكسرها وسكون
الدال وفتح القاف ... والشعر لا يبدل على شيء من الصدق ، وإنما
يصف (السّدق) وهو ليلة الوقود عند الفرس ، واللفظة معربة
فأرسيها (سده) والصدق بالدال لغة فيه ، وبعضهم يراء محرفاً ،
وأنا لا أرى ذلك . والصدق بالصاد لحن عند صاحب القاموس ..
وقد ذكره معجم عصرى بالصاد كأنه لغة في السّدق

والصدق من ميراث الجوسية . ولبديع الزمان الهمداني رسالة
عبقرية (كتبها إلى الرئيس أبي عامر) في الإشادة بذكر العرب
والتشديد بذلك العيد وناره الجوسية . ومما جاء فيها :

نحن (أطال الله بقاء الشيخ) إذا تكلمنا في فضل
العرب على العجم ، وعلى سائر الأمم ، أردنا بالفضل ما أحاطت به
الجلود ، ولم ننكر أن تكون أمة أحسن من العرب ملابس وأنهم
منها مطاعم وأكثر ذخائر ، وأبسط ممالك وأعمر ساكن . ولكننا
نقول : العرب أوفى وأوفر ، وأوفى وأوفر ، وأنكى وأنكر ، وأعلى
وأعلم ، وأحلى وأحلم ، وأقوى وأقوم ، وأبلى وأبلغ ، وأشجى
وأشجع ، وأسمى وأسمج ، وأعطى وأعطف ، وأحصى وأحصف ،
وأبقى وأبقى . ولا ينكر ذلك إلا وقح ، ولا يجحده إلا نفل ...

إن عيد الوقود لميد إفاك ، وإن شعار النار لشعار شرك ، وما أنزل
الله بالصدق سلطاناً ، ولا شرف نيروزاً ولا مهرجاناً ... وإنما جعل
لله النار تذكرة وعظماً ، ولم يجعلها ودأولاً سواها ، ولم يضرب الله

مركز اشراق

الترجمة واللغة العربية

للدكتور عبد العزيز برهام

—♦♦♦♦—

طلعت علينا (الرسالة) الغراء باقتراح جليل لرئيس تحريرها الفاضل الأستاذ (الزويت) ؟ اقتراح لو أخذ به لند نفعا يشعرك كل من عالج تعلم اللغات الأجنبية التي لا غنى عنها في عصرنا الحديث . ولقد وفى الأستاذ الموضوع حقّه ؟ فأبان حاجتنا الماسة إلى الترجمة في الأدب وفي العلم . وإنى لأستبجحه أن أضيف إلى آرائه القيمة بعض أفكار تواردت على ذهني حين قرأت اقتراحه :

إن حاجتنا إلى النقل من اللغات الأجنبية ليست وليدة اليوم ، وإنما شعرنا بها من يوم أن دب في بلاد الشرق ديب الحياة وأخذت بعد سبائها العميق تستيقظ وتعمل بالغرب . عندئذ أدرك الآخذون بأسباب من العلم والمعرفة أن مهنتنا لن تقوم وتنجح إلا إذا قبسنا من نور الغرب ، فأخذت ترجمة الكتب ولا سيما الأدبية تترى . وسار كل غيور على رفعة وطنه في هذا التيار حتى رأينا كثيراً من الكتب النافسة نقلها من اللغات الأجنبية جلة العلماء في عصر المنفور له (محمد علي باشا) ، ولكن لم تكن هذه الكتب القليلة العدد شيئاً يذكر إن ووزنت بما كنا في حاجة إليه إذ ذاك . ثم خطت الترجمة بعد ذلك خطوات واسعة غير أن أغراضها تنوعت ، وصار للعنصر التجارى فيها شأن أى شأن . فكلم من قصة ترجمت لم يقصد بها العلم وإنما قصد بها الربح ! وسائر ترجمة الكتب انتشار الصحف والمجلات في أواخر القرن التاسع عشر وفي أوائل هذا القرن . والصحف العربية والمجلات لا تزال تعوّل على الجرائد الأجنبية في كثير من موضوعاتها نجم عن ذلك كله أن اتسعت دائرة الترجمة إلى اللغة العربية اتساعاً يبعث كثيراً من الأمل في نفوس ذوى الغيرة الوطنية . بيد أن أكثر القائمين بأمر هذه الترجمات لم يكن بعبيراً باللغة العربية بصره باللغة التي ينقل عنها ، فكانت تستعصى عليه لذلك ترجمة كثير من الأساليب التي لا يجد — لصغفه في العربية — مثيلاً لها في لغة الضاد . فالتوت لغة الترجمة ركز ما عمد الناقل إلى الأسلوب أو التعبير الأجنبي فنقله بنصه دون مراعاة لروح اللغة التي ينقل إليها فنمضت على القارىء . وكثر ما دخل في اللفظة

العربية من كلمات أجنبية لم يستطع المترجمون أن يجدوا لها مدلولاً في لغتهم فطفت على لغة الكتابة والخطابة ، واستعملها الناس في حديثهم دون شعور بأعجميتها . وزاد الطين بلة تلك الحرية الواسعة التي يتمتع بها المترجمون . وإنه ليسهل عليك أن تجد تعبيراً واحداً في لغة أجنبية نقل إلى العربية بأساليب متعددة حتى يعجزك رد هذا التعبير إلى أصله . ولقد تدهش أحياناً من أن كلمات عربية دخلت منذ حين في لغات أجنبية فإذا ما أعيدت إلى لغتها الأصلية أعيدت مشوهة . وما كلمة (الجراء) التي نقلت إلى الإسبانية والفرنسية ثم عادت إلى اللغة العربية (الحميرة) بعيدة عن الأذهان ، وإن الجرائد المصرية ليحللها دائماً حين تكتب عن (قناة السويس) أن ترسمها (قنال السويس) (Canal de Suez) وناهيك بما يمترض سبيلك وأنت تقرأ مجلة أسبوعية أو برقيات جريدة يومية من كلمات أجنبية لم يعمل المترجم فيها إلا أن كتبها بحروف عربية ، وليته أعجمها حتى يستطيع الجاهل باللغة التي نقلت عنها قراءتها صحيحة ، بل ترك للقارىء حرية الحدس والتخمين ، وتركك تسمع في نطقها العجب العجيب . أولست كلمات رجم (Régime) ، استراتيجية (Stratégique) ، ومونوكل (Monocle) ، سامباتيك (Sympatique) ، بوستة (Poste) ، وابور (Vapeur) ، شيرى (Chéri) الخ ... الخ ... من الكلمات التي نقرأها ولم نند فهمها بها كأنما صارت من صميم الكلمات العربية ؟

ولما كان لكل لغة قواعد النحوية والصرفية واللفوية الخاصة بها فمن العسير أن ننقل من لغة إلى أخرى إلا إذا كنت ملماً بقواعد كلتا اللغتين وإلا تعرضت للزال . أولاً يستعمل العامة والخاصة فعل (أعطى) متعدياً لمفعول واحد فيقال : أعطيت الكتاب لفلان ، كما يقول الفرنسيون J' ai donné le livre à un tel وهو في اللغة العربية متعد لمفعولين فيقال : أعطيت فلانا الكتاب ؟ أو لم تجر أقلام الكتاب باستعمال (لا) قبل (يجب) أو يبنى (إذا أريد نفي ما بعدهما فيقولون : لا يبنى (أو لا يجب) أن نفعل كذا "Il ne faut pas faire telle ou telle chose" والعرب يقول يبنى ألا نفعل كذا وكيت عليك ألا تفعل كذا وكيت ؟

تقد نقل الخطأ الشائع وأضرابه بآدى ذى بدء من لم يكن متمكناً من اللغة العربية التي ترجم إليها ثم استعمله سواء من بعده ولم يلبث أن انتقل إلى أقلام الخاصة .

وما نسباً هذا الخلط وعمت هذه الفوضى في الأساليب

« Rapport à cette question par » : « من وقت لآخر »
Du tempis en temps وهكذا وهكذا .

ثم إذا نحن جاوزنا لغة الأدب إلى لغة العلم لما تغير الأمر كثيراً ولا قليلاً . واللغة العلمية والمصطلحات العلمية أحوج ما تكون إلى أن تكون موحدة . ولن نصل إلى هذا التوحيد إلا إذا قضينا على الحرية المطلقة الفردية في الترجمة وأخذنا المترجمين جميعاً على استعمال تعابير بعينها .

هذا ، وإن بعض المواد لا يزال يدرس في (مصر) حتى اليوم باللغة الإنجليزية أو الفرنسية : إما لأن اللغة العربية لا تتسع — كما يقولون — لما وسمه غيرها من اللغات (وهي التي وسعت فلسفة الإغريق ، وحضارة الفرس) ؛ وإما لأننا لا نزال ندرج على سنة درج عليها آباؤنا من قبلنا وإن انقطعت اليوم الأسباب التي دفعت بهم إلى فعل ما فعلوا . وليس من سبيل لسد هذا النقص القوي وتخصير الطلب مثلاً إلا طوفان من الترجمات يحرف جميع الكتب القيمة الأعجمية التي وضعت في هذه المواد جرفاً لياق بها على ساحل اللغة العربية .

وبعد فإن ترك الترجمة فوضى شأنه اليوم يعرض سلامة اللغة لخطر مستمر ، وينقل إلينا سيلاً من الكلمات والتعابير الأعجمية التي تنخر في عظام الأساليب العربية للرصينة . وحسبك أن تقرأ كتاباً (كالبؤساء) الذي ترجمه حافظ إبراهيم أو غيره مما ترجم الأستاذ (الزيات) أو (النفلوطي) وهذه الكتب نفسها إن أشرف على ترجمتها ذوو الترجمات العاجلة الخاطفة لتلمس الفرق بين الترجمتين ، وتلدرك أيهما كتب باللغة العربية النصيحة : من بلاغة في الأسلوب ، وصفاء في الديباجة ، وسمو في البيان ، وتنوع في الصياغة ، ودقة في التعبير حتى لكأنك تقرأ القصة في لغتها وبأسلوب كاتبها .

وإنك لتعجب حين تقرأ كتاباً ما ترجم إلى لغات عدة من أن أثر الترجمة لا يحس إلا في اللغة العربية إن نقله إليها من لم يلم بالأمأ تاماً بها . ولو علم كثير من كبار الكتاب الأعاجم مقدار ما يصيب آثارهم القذرة من مسخ وتشويه إن أسى ، نقلها لحرموا الترجمة ولآثروا أن يظلوا غفلاً في البقاع التي تسودها هذه اللغات المنقول إليها من أن يساء إلى بنات أفكارهم . أو لم تؤلف اللجان لترجمة القرآن حتى يحتفظ له ما أمكن في اللغة التي ينقل إليها بأسلوبه المعجز ، وسحر بيانه ، وجماله الفني ، وتصويره الرائع ؟

والتعابير وطلعت الروح اللغوية الأعجمية على روح اللغة العربية إلا لأن الترجمة نفسها لا تخضع لنظام . حتى إن كل من أقتن لغة أعجمية أو اعتقد أنه أنقضا استباح لنفسه الترجمة منها دون مراعاة لمبلغ قدرته في اللغة المنقول إليها . وإنه ليسهل عليك أحياناً أن تفهم بعض التعابير في لغتها الأصلية عن أن تفهمها في اللغة العربية ؛ وذلك لأن المترجم إما أن يكون ضعيفاً في اللغة العربية فلا يحضره من الألفاظ ما يسد به حاجة الترجمة ، أو أن يكون ضعيفاً في اللغة الأعجمية فينقل إليك التعبير دون تصرف فيه فتكون ترجمة حرفية سقيمة المعنى أو خلواً منه — وإني لأذكر — وأنا لا زلت طالباً بمصر — أن كنا ندرس في كتاب مترجم في « النظريات السياسية » . ولقد كان أكره الدروس إلى نفوسنا درس هذه المادة لمحبة النافعة . كانت ذاك لتعقد في أسلوب الكتاب كثيراً ما دعانا إلى أن نقف عند كل سطر وأن نكون أحياناً حلقات ندرس فيها ما يراد وما لا يراد من هذه العبارة أو تلك . وما أكثر ما أثرنا على أستاذ المادة — وكان أحد المترجمين — حتى لكنا نلجئه إلى قراءة الكتاب في (الفصل) لنفهم عباراته . وإن اقتضت هذه التراكيب الركيكة في اللغة السائدة في الكتب والمصحف ليتسرب إلى لغة كثير من فضلاء العلماء والأدباء دون أن يشعروا بأنهم ينزلون بلغتهم درجات . خذ مثلاً كتاباً من كتب القانون أو اقرأ الدروس التي يلقيها على طلبته بعض الشبان من رجال القانون الحديث العهد بالتدريس باللغة العربية ومستبين من غير عسر دروح الترجمة فيها . وإني لأنقل إليك عبارة واحدة على سبيل المثال تجدها في مذكرات للقانون الجنائي لعالم فاضل وأترك لك الحكم عليها .

« إذن فطبقاً للرأى الذى ساد المراد بالاختلاس أن الجاني يأتي بحركة مادية يخرج بها الشيء من حوزة غيره ويستولى هو عليه . وليس بذى شأن أن ينقل الجاني الشيء بيده كحالة اللص الذى ينشل محفظة من جيب المجنى عليه أو بواسطة كمن يحرض كلبه ... كذلك يكفى أن يهوى الجاني أسباب الانتقال وبعد ذلك يتم انتقال الشيء من تلقاء نفسه ... الخ ؟

وأشال هذه التعابير كثير : أنا شخصياً لا أقبل هذا .
Moi, personnellement je n'accepte pas cela .
« قابل صاحب الدولة رئيس الوزراء بوصفه وزيراً للخارجية en qualité de ... » هذا الأمر بالقياس إلى هذا ... »

فليس أماناً إذاً إلا سبيل واحدة لتسلكها حتى تحيط اللغة بسياج متين من تسرب الدخيل إليها وتحفظ عليها بنيتها وروحها وأساليبها — تلك هي الترجمة الدقيقة المنظمة . ولا سبيل إلى مثل هذه الترجمة إلا إذا قام بها من هو ذو بصر باللغة العربية وباللغة التي ينقل عنها . وإن إنشاء دار للترجمة وتزويدها بأعلام الأدب والعلم والفن ممن يحذقون لغات أعجمية لطو الطريقة المثلى لتحقيق هذه الأمنية .

وإننا — كما يقول الأستاذ الفاضل صاحب الاقتراح — « إذا نقلنا إلى العربية نتائج القرائح لأقطاب العلوم والفنون والآداب من الإنجليز والأمريكان ، والفرنسيين والألمان ، والروسين والاطليان — أصبح هؤلاء المالئون جزءاً من كياننا الأدبي ، وركناً في بنائنا العلمي ، نعتز به ونستمد منه ونفخر فيه وتزيد عليه ، كما فعل آباؤنا الأقدمون بما نقلوه من علوم الإغريق والهنود واليهود والسرانيان والفرس » — ولجددنا في اللغة مع محافظتنا عليها ، ودعمنا النهضة ، وبرزنا القراءة ودعونا إليها ، ولهيأتنا للعلوم التي تدرس بلغة أعجمية في معاهدنا العلمية سبيل تدرسيها باللغة العربية ، ولأمددنا كتاب الصحف والمجلات بأساليب ترفع من ترجمتهم العاجلة ، ونسعفهم إن ضاق بهم الوقت ؛ ولاستطاعتنا كذلك أن نضع معاجم عربية — أعجمية يقل فيها الخطأ ويكثر فيها الدقة .

إن مصر ليجهل جمهرة أهلها اللغات الأعجمية . والذين يحذقون أكثر من لغة قليل مادم . وفي هذا التباين ما فيه من خطر قومي يدفع إليه تباين الثقافات ، فن ثقافة عربية إلى ثقافة أعجمية ، ومن ثقافة فرنسية إلى ثقافة إنجليزية أو ألمانية . وفي تنوع هذه الثقافات ما يخلق تبايناً في التفكير بين أفراد الأمة حتى ليتهم بعضهم بعضاً بالقصور عن مسايرة النهضة العلمية الحديثة أو يدل بعضهم على بعض . ولقد ألفت أذاننا سماع تفضيل ثقافة على ثقافة ، وألفنا الحديث عن مدارس الثقافة الفرنسية وعن مدارس الثقافة الإنجليزية وهكذا ، فاتسعت الهوة بين المنتمين إلى هذه والمنتمين إلى تلك ، فإذا نحن نقلنا هؤلاء جميعاً المؤلفات القيمة من مختلف الثقافات جعلناهم يتخذون بلبن واحد فاتحدت طريقة تفكيرهم ومادتها التي لن تكون إلا عصارات هذه الثقافات ممتزجة ، وزالت الفوارق بين طبقات التحملين ، واتتربت وجهة النظر بينهم ، وصاروا جميعاً أبناء أمة واحدة يرتبون من سهّل واحد هو الثقافة المصرية .

ثم ما ظنك بفريق من أديباء العلم والأدب الذين بنوا لهم مجداً شامخاً في الشرق على ما انتحلوه من آراء الأعاجيم دون أن يشيروا إليها أو يدلّوا عليها ؟ داء عسير دواؤه أصيبت به الطبيعة الشرقية لضعف في النفوس وجهل بها ، وعجز عن الابتكار والاختراع ، واستهانة بالقراء ، وغرام بالشهرة ولو كاذبة . وشجع على استفحاله أن الشرق ولاسيما المصري لم يُعَدَّ إعداداً يجب إليه القراءة والاطلاع ، والتعمق في العلم ، فهو يكتفى بما يقع تحت بصره دون تطلع إلى ما وراء ذلك ؛ وكان جهله باللغات الأعجمية أو بأكثرها من العوامل التي جعلته يقف في قراءته عند ما كتب بالعربية .

إن هذا الفريق من الأديباء سينكشف أمره ، وسيرى مجده يتداعى يوم أن ينقل إلى اللسان العربي جميع ما ألف في سواء أو جمهوره ، ويطلع الناس على مصدر الآراء التي ارتفع بها أقوام لا يستحقون الرفعة فيزولهم من حلق . وسيوصد الباب أمام هذه الفئة الطفيلية فتتخلص من شرورها وغطرستها .

وحبذا لو فكر القاعون بالأمر في وزارة المعارف في إرسال البعث من ذوي الكفاية في اللغة العربية لدراسة اللغات الأعجمية في مهدها ، ولا سيما وقد انفتح الطريق الآن بيننا وبين بعض هذه البقاع . ولو أن السنة التي خطها صاحب العالي محمد حلمي عيسى باشا حين كان وزيراً للمعارف في عام ١٩٣٣ انبعت منذئذ اجمع لدينا الآن عدد لا يستهان به من الشبان الأكفاء الذين يسند إليهم هذا العمل الجليل ؛ فلقد أرسل معاليه بمشة للترجمة والتحرير إلى فرنسا وألمانيا وإنجلترا كانت الأولى والأخيرة . وشاء تغير الوزراء من بعده ، وعدم استقرار سياسة التعليم ، ونقض كل وزير ما أبرم سلفه أن ينقل هذا الأمر !

ولعل وزارة المعارف إن وصلت إليها هذه الصيحة وكتب لها أن تستأنف إرسال بعوث الترجمة أن تسند إليهم متى عادوا — بعد عمر طويل — أعمال الترجمة نفسها لا أن تكفل إليهم أمر عملية خزان أسوان أو كهربة خط حلوان ، أو أن تكافهم على جدم بتكليفهم العمل في حقول التجارب وفلاحة البساتين . والله الهادي إلى سواء السبيل .

عبد العزيز برهام

دكتوراه الدولة في الآداب
لبسانيه في القانون من باريس

[نتمه ما نشر في العدد الماضي]

(٧) البکی : ٤ ص ١٠ .

(٥) راجع قائمة المعارف البريطانية مادة فلسفة

(٧) البکي ج ٤ ص ١٠ .

العبادة فإن مضمونها لا يدخل تحت الإشارة فضلاً عن الكشف^(١) وإن القوم في حالة سكر في الذات العلية^(٢) وفي غيبوبة تامة^(٣).

قالوا ومن هذا القبيل قول سهل بن عبد الله التستري إذ يقول : « أعرف تلامذتي من يوم ألبت ربكم ، وأعرف من كان في ذلك الوقف عن يميني ومن كان عن شمالي ، ولم أزل من ذلك اليوم أرى تلامذتي وهم في الأضلال لم يحجبوا عني إلى وقتي هذا »^(٤) وقوله : « أشهدني الله تعالى ما في البلى وأنا ابن ست سنين ، ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين ، وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين ، ورأيت في السبع الثاني حرفاً معجماً حارفيه الجن والإنس ففهمته وحدت الله تعالى على معرفته ، وحركت ما سكن وسكنت ما تحرك بإذن الله تعالى وأنا ابن أربع عشرة سنة »^(٥).

وامتازت فلسفة هؤلاء المتصوفة أصحاب الذوق بأسلوب جديد مبتكر أخذ هو الشعر الغزلي التصوفي الذي أطلقوا عليه اسم « الغزل الصوفي » كما نمتوا الحب البريء « بالحب الأفلاطوني » أو « الحب المندري » وفيه الرمزية والخيال البعيد . ولنا في باب « الغزل الصوفي » طائفة كبيرة من الشعراء . والتصوف في حد ذاته نوع من نوع الشعر أو الفن ، فقيه عاطفة جامحة ؛ لذلك كان أكثر المتصوفة ينظمون نظماً دقيقاً فيه عاطفة دقيقة وإن كانوا قد خرجوا فيه كما خرجوا في تترجم عن القيود الدينية المألوفة والأساليب المتعارفة كما نجد ذلك في شعر الحلاج^(٦) وفي شعر محيي الدين بن عربي وفي شعر السهروردي وأمثالهم . ويكفي في هذا الباب ما نظمته الشيخ المتصوف سيدي إبراهيم الدسوقي التوفي

المستشرق نيكسون في كتابه « التصوف الإسلامي » وفي الفصل الذي عقده عنه في « دائرة المعارف الإسلامية » بأنه « يمثل الآراء الخولية المتطرفة التي جاء بها بايزيد البسطامي التوفي عام ٢٦١ للهجرة (٨٧٤ م) تلك الآراء التي يمتاز بها متصوفة الفرس بوجه عام . ولست بحاجة إلى أن أزيد أن أبا سعيد كان ينظر إلى الإسلام وغيره من الأديان المثلة نظرة احتقار »^(١) وهو قول ردد صداه المستشرق الفرنسي لويس ماسيون والمستشرق الإنكليزي إدوارد براون وأغلب المستشرقين المشتغلين بموضوع التصوف . على أن من باب الحق والمنطق أن نقول بأن جماعة كبيرة من العلماء كانوا يشنون عليه ويدكرونه ذكراً جليلاً . أمثال : السبكي صاحب كتاب طبقات الشافعية الكبرى^(٢) والسماعاني في كتابه « الأنساب »^(٣) وفريد الدين العطار في كتابه تذكرة الأولياء^(٤) وأمثالهم ؛ وقول هؤلاء طبعاً قول مقبول محترم لا يمكن أن يرد بأي حل من الأحوال .

أما أنصار التصوف وأصحاب مبدأ « حسن الظن من الإيمان » فإنهم يستندون عن هذه الأقوال ويفسرونها تفسيراً فيه حسن ظن ورجاء ، ويتجاوزون عنها ويرجعون أمرها إلى الله ، ويؤولونها تأويلات ، ومحسوسها شطحة من شطحات اللسان . والشطحة عندهم « عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهو من ذلات المحققين فإنها دعوى بحق يفضح بها المعارف من غير إذن إلهي بطريق يشعر بالنباهة »^(٥) وهم يؤولون كلام هؤلاء كما قلنا فيقولون : نعم ، في ظاهر هذه الكلمات خروج عن المألوف والذوق ، ولكنهم لا يقصدون ظاهر هذه الألفاظ بل بواطنها وذلك لا يدركه إلا من سما في العلم الإلهي وفي درجات المعرفة .

ثم قالوا : « وإن للقوم عبادات تفردوا بها واصطلاحات فيما يفهم لا يكاد يتعملها غيرهم مخبر ببعض ما يحكي وتكشف معانيها بقول وجيز ، وإنما نقصد في ذلك إلى معنى العبادة دون ما تتضمنه

(١) دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية مجلد ١ ص ٢٥٤ .

(٢) ج ٤ ص ١٠ .

(٣) طبع بناية تذكاري ج ٥ ص ٥٥٠ .

(٤) طبع بناية للمستشرق براون ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٥) التريقات للسيد الشريف الجرجاني ص ٨٦ وكتاب اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية ص ١٢٧ .

(١) كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف تأليف أبي بكر محمد بن اسحق البخاري الكلاباذي التوفي سنة ٣٨٠ للهجرة ص ٨٠ .

(٢) راجع التعرف ص ٨٥ .

(٣) التعرف ص ٨٧ .

(٤) راجع طبقات الشرائع ص ١٥٨ عن أقوال سهل راجع أيضاً التعرف لمذهب أهل التصوف (١٩٣٢) في عدة مواضع من الكتاب .

(٥) نفس المصدر ص ١٥٨ عن سهل أيضاً . Nicholson A. Literary History of the Arabs p. 392.

(٦) عن الحلاج La Passion d' al-Hosayn , L. Maassignon , Ibn Mansour Al-Halladj وكتبه الاخرى .

ثم يستمر على هذا السق فيذكر أنه كان مع جميع الأنبياء ويحتتم قصيدته باسمه وبأنه التطب شيخ الوقت إبراهيم^(١).

وأبو سعيد أبو الخير من المُرزِين في الشعر الصوفي، ويمتاز عن غيره من شعراء الفرس بابتداعه الشعر الصوفي عندهم^(٢) وبهجته منهجاً جديداً في النظم هذا حذوه أكثر شعراء الفرس كفريد الدين المطار^(٣) وجلال الدين الرومي وعمر الخيام^(٤).

وإذا صحت نسبة الرباعيات الفارسية إليه فيكون بذلك أول مؤسس لرباعيات التصوفة وأول مبتكر لطريقة جديدة هي الطريقة الرمزية في الشعر. ولكن هناك من يشك في صحة نسبة الرباعيات إلى صاحبنا استناداً على رواية تقول بأن الناظم الأصلي لهذه الرباعيات هو أستاذ أبي سعيد أبو القاسم بشرس وهو متصوف أيضاً وأديب مشهور^(٥).

على أن شيئاً واحداً لا يمكن أن يتطرق إليه الشك هو أن أبا سعيد كان ينظم الشعر وكان يحفظ شيئاً كثيراً من شعر القرس والعرب^(٦)، وأنه كان ضليعاً في اللغة العربية وكان يجلس لتفسير القرآن. وبهذه المناسبة نقول إن تفسير القرآن على طريقة الصوفية هو تفسير خاص. ومن أشهر هذه التفسيرات تفسير عبد الرحمن السلمي النيسابوري (٤١٢٠ هـ) أحد الأساتذة الذين درس عليهم أبو سعيد ونال الخربة منه^(٧) ولشهر هذا الشيخ برواية الأحاديث ولا سيما أحاديث الصوفية وقد اتهم لذلك بأنه كان يضع الأحاديث على لسان الرسول لتقوية مذهب التصوف (سنن الصوفية)^(٨). وتفسير عبيد الدين بن عربي الشهير^(٩) وتفسير نظام الدين الحسن

عام ٦٧٦ للهجرة^(١٠): في هذا النظم أشياء كثيرة لا توافق ما هو مألوف لما في هذا القول من اتحاد الذات في الإنسان وفي الأشياء. والقصيدة مرآة صافية لفكرة وحدة الوجود التي شاعت في أوروبا أيضاً واعتنقها جمهور من الفلاسفة والمفكرين ولا سيما أولئك الذين درسوا الآداب الشرقية واطلعوا على تراجم الأشعار الفارسية على الأخص كالشاعر غوته الذي دان بمذهب وحدة الوجود^(١١). يقول هذا المتصوف الزاهد الذي يرجع بنسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب والذي تأثر بآراء من سبقه من كبار المتصوفة كالخلّاج والسرّي البقطي والجنيد البغدادي والشيخ عبد القادر الجيلاني على الأخص في جملة ما قاله هذه الأبيات:

تجلى لي المحبوب في كل وجهة فشاهدته في كل معنى وصورة
وخطبني متى بكشف سرايى فقال أتدرى من أنا قلت منيتي
فأنت منائي بل أنا أنت دائماً إذا كنت أنت اليوم عين حقيقي
فقال كذاك الأمر لكنه إذا تميت الأشياء كنت كنسختي
فأوصلت ذاتي باتحادى بذاته بغير حلول بل بتحقيق نسبتي
فصرت فناء في بقاء مؤبد لذات بديمومية سرمدية
وعيني عني فأصبحت سائلاً لذاتي عن ذاتي لشغلي بغيرتي
وأنظر في مرآة ذاتي مشاهداً لذاتي بذاتي وهي غاية بغيرتي
فأغدو وأمرى بين أمرين واقف علوي تحوّل ووهمي مثبتي

ومنها:

أنا ذلك القطب المبارك أمره فإن مدار الكل من حول ذروتي
ومنها:

وبى قامت الأنبياء في كل أمة بمختلف الآراء والكل أمتي
ولا جامع إلا ولي فيه منبر وفي حضرة المختار فزت بينيتي
ومنها:

بذاتي تقوم الذات في كل ذروة أجدد فيها حلة بعد حلة
ومنها:

نم، نشأتني في الحب من قبل آدم

وسرّي في الأكوام من قبل نشأتني
أنا كنت في العلياء مع نور أحمد على الليرة البيضاء في خلوتي

(١) راجع طبقات الصراني ج ١ ص ١٥٨.

(٢) راجع Zhukowski حالات شيخ أبو سعيد ١٧٩٠ ص ٥٤.

(٣) راجع Miguel Asin, Islam and the Divine Comedy, London 1925.

(٤) راجع طبقات الصراني ج ١ ص ١٥٨.

(٥) راجع عنه براون في كتابه تاريخ الأدب الفارسي ج ٣ ص ٨٨ وموانع أخرى.

(٦) دائرة المعارف ج ١ ص ١٥٤.

(٧) راجع Zhukowski حالات شيخ أبو سعيد ١٧٩٠ ص ٥٤.

(٨) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٣٢٢.

(٩) ذهبي، تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٤٩، Journal Asiatig, 583, 1912. ويستند القشيري في رسالته عليه كثيراً. راجع المقدمة.

(١٠) السيوطي، الآلئ المصنوعة ج ٢ ص ١٧٨.

(١١) تفسير عبيد الدين بن عربي بولاق ١٢٨٣ في جزئين ثم ١٣١٢.

أقام بها أبو سعيد محترماً مقرباً من عالمها الكبير إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني . وابن سينا الذي اشتهر بنظم الشعر باللغة المربية اشتهر بنظم الرباعيات بالفارسية فهو زميل منافس لصاحبنا المتصوف . ولعل هذه المنافسة هي التي أدت إلى نفرة أبي سعيد من ابن سينا ، ثم إلى رده على ابن سينا رباعية من رباعيته المشهورة^(١) .

تجمع أبو سعيد بشهرة عظيمة في بلاد فارس حيث كان محط الرحال إلى أن جاءه الأجل المحتوم في سنة ٤٤٠ للهجرة فدفن في مسقط رأسه « ميهنة » وبذلك تم دخوله في عالم الفناء .

مات أبو سعيد فكتب حياة هذا المتصوف حفيده محمد بن أبي النور ، وعلى هذه الترجمة اعتمد فريد الدين العطار في كتابه « تذكرة الأولياء » ، وجامى ملا نور الدين عبد الرحمن في كتابه « نفحات الأنس »^(٢) .

الركنور جواد علي

بغداد

(١) راجع هذه الرباعية في 52، pp. 1878، Eitr.

(٢) راجع دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٣٥٢

بن محمد النيسابوري (في أوائل القرن الثامن للهجرة)^(١) وتفسير عبد الرازق الكاشي (الكاشاني)^(٢) .

وكأن أصحاب الباطن (الباطنية) من المسلمين والحروفية فسروا القرآن تفسيراً يوافق آراءهم باعتبار أن للقرآن ظاهراً وباطناً وقالوا بأن الظاهر هو المفهوم لدى العامة وأن الباطن هو المقصود من القرآن ولدى الخاصة وحدهم (علم الباطن) أولئك الذين يعرفون (ما ظهر منه وما بطن) فكذلك المتصوفة فسروا القرآن تفسيراً خاصاً حيث كانوا يعمدون إلى التأويل دائماً تأويلاً يتفق مع آرائهم ومشاربهم .

واتصل أبو سعيد على ما يروى بالتصوف الشهير أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى عام ٤٦٥ للهجرة)^(٣) « وقد تلقى القشيري أول الأمر هذا الزائر الجديد بشيء من الحذر والنفور ، ولكنه ائتم به وأصبح صديقه الحميم فيما بعد ، وتلك خاتمة يلوح لنا أنها بعيدة الإحتمال »^(٤) .

حاول القشيري وهو من رجال التصوف في رسالته الشهيرة « الرسالة القشيرية » (كتبها سنة ٣٧٠ للهجرة) جمع خلاصة آراء وأفكار المتصوفة للتوفيق بين آراء المتصوفة وبين آراء جماع المسلمين والبرهنة على أن التصوف أصل الإسلام . وذكر طائفة من كبار المتصوفة بما فيهم الخلفاء الراشدون والأئمة العلويون^(٥) وأكثر الصحابة ، وقد قاله أن التصوف الذي كان عليه في وقته لم يكن معروفاً بهذا الشكل في صدر الإسلام ، وأن الصحابة كانوا يؤخذون الناس عليه كما فعل الخليفة عثمان بعامر بن عبد الله ابن قيس الذي تهرب وترعد في البصرة وامتنع عن أكل اللحوم والزبد والجبن وكل منتوج للحيوان ، وأعرض عن الزواج^(٦) . وعُرف « براهب الأمة » .

والتقى أبو سعيد بالفيلسوف ابن سينا على ما ذكره فريد الدين العطار في كتابه^(٧) . والظاهر أن هذا اللقاء كان بنيسابور حيث

(١) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٣٢٢ . دائرة المعارف ج ١ ص ٣٥٣

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان

(٣) علة نسخ خطية .

(٤) دائرة المعارف ج ١ ص ٣٥٣ عن السيرى . راجع رسالته

والتصوف الإسلامي للمتصرف نيكلسون

(٥) البارة من دائرة المعارف ج ١ ص ٣٥٣

(٦) راجع رسالته حيث يذكر أسماء الصحابة في ضمن المتصوفة

(٧) عن عامر بن عبد القيس . راجع الطبري (الطبعة الأوربية

ج ١ ص ٢٩٢٢ . ابن سعد طبقات ج ٢ ص ٧٤

صديقي الفاري

الكتب الآتية

ضرورة لثقافة فكرك ولسانك

وحى الرسالة : لمرستار أحمد حسن الزيات ٤٠

آلام فريتر : ٤٠

رفائيل : ٤٠

اطلبها من إدارة « الرسالة »

ومن المكاتب الشهيرة

الأسرة والمجتمع

للدكتور علي عبد الواحد وافي

أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

من بين الحقائق التي عنت بإبرازها وتوكيدها في كتابي «الأسرة والمجتمع»، الذي ظهر أخيراً في مؤلفات «الجمعية الفلسفية المصرية»، أن الأسرة تقوم على مصطلحات يرتضيها العقل الجمعي، وقواعد تختارها المجتمعات، وأنها لا تكاد تدين بشيء للدوافع الغريزة، بل إن معظمها ليرى إلى محاربة الفرائر أو توجيهها إلى طريق غير طريقها الطبيعي.

وقد ناقش الأستاذ العقاد^(١) الفقرة الأولى من الدليل الأول الذي أوردته لتأييد هذه النظرية، وهو — كما أشرت في مقالتي السابق^(٢) — واحد من اثني عشر دليلاً ذكرتها سلسلة في هذا الكتاب. فظهر له أن ما تشير إليه هذه الفقرة لا ينهض حجة على صحة ما ذهبت إليه. ثم أدلى برأيه في هذا الموضوع، فذكر أن الغريزة وراء الظواهر الاجتماعية في جميع شئون الأسرة أو في أهمها على الأقل، واستدل على ذلك بعدة أمور.

ولست محاولاً في هذا المقال أن أسرد ما أغفله الأستاذ العقاد من الأدلة التي أوردتها في كتابي لتأييد نظريتي، والتي لا تدع مجالاً للشك في صحتها؛ لأن محاولة كهذه لا يتسع لها المقام من جهة. ولائها من جهة أخرى ستكون مجرد تلخيص غل لمسائل استغرق بحثها نحو مائة وخمسين صفحة في الكتاب. ولذلك سأقتصر على مناقشة الأستاذ في النظرية التي أوردتها، وهي أن الغريزة وراء الظواهر الاجتماعية في أهم شئون الأسرة.

ذكر الأستاذ لتأييد نظريته هذه أموراً كثيرة يمكن رجعها إلى دليلين رئيسيين. وقد أشار الأستاذ العقاد إلى هذين الدليلين إذ يقول: «إن أمرين اثنين تختلف النظم العائلية ما تختلف بين الشعوب والأجيال وهما ماثلان في كل أسرة وفي كل شعب وفي كل جيل. وهما حضنة الطفل والألفة الحيمة بين فئة من

الاعتراف. وكلا هذين الأمرين قائم على الغريزة الفطرية دون سواها على نحو متشابه في جميع الأجناس وجميع العصور». وأخذ من هذين الأمرين حجة على أن النظم الأساسية المشتركة في العائلات الإنسانية قائمة على الغريزة.

ونحن نشكر للأستاذ كثيراً أن قدم لنا دليلين من أقوى الأدلة على صحة ما نذهب إليه؛ فكفانا بذلك مثونة الجهد في تأييد ما قررناه في كتابنا، وفي الرد على نظريته.

١ - حقاً إن حضنة الأولاد أمر غريزي عند معظم الحيوانات^(١) على اختلاف سير فيما بينها؛ فأحياناً تتوافر هذه الغريزة عند الأم وحدها؛ وأحياناً عند الأب وحده؛ ولكنها في معظم الحيوانات الزوجية (وهي التي تعيش زوجين زوجين، والتي منها الإنسان) تتوافر لدى الأب والأم معاً. ولكن هل تسير الحضنة في الأسرة الإنسانية وفق ما تخليه هذه الغريزة؟ الحقيقة أن النظم الاجتماعية وحدها هي التي تتحكم في الحضنة تحكماً مطلقاً لا تقيم فيه وزناً للغريزة ولا لقتضياتها، وأن الأسرة الإنسانية تخضع في ذلك لما يسنه لها المجتمع سواء أكانت شرعته متفقة مع منهج الغريزة، أم كانت معذلة له، أم مختلفة معه كل الاختلاف. بل لقد وصل الأمر في كثير من الشعوب أن أصبح واجباً على الآباء أن يقتلوا أولادهم أو بضعضهم أو جنساً معيناً منهم عقب ولادتهم أو في سن الطفولة أو يلقوا بهم في مكان قفر Exposition أو يقدموم قرباناً للآلهة، وأبت هذه المجتمعات إلا أن يتم لها ما أرادت ولو كرهت الفرائر، وسارت العائلات وفق ما أمّلته عليها نظم مجتمعاتها لا وفق ما فطر عليه أفرادها من غريزة. فمن ذلك مثلاً أن النظم الإمبرطية كانت توجب على الآباء إعدام أولادهم الضعاف أو المشوهين أو المرضى عقب ولادتهم أو تركهم في القفار طعاماً للوحوش والطيور. وكانت الأم نفسها تلجأ إلى مختلف الوسائل لتحقيق هذه الغاية؛ مع أن غريزة الحضنة والحذب على الصغار عند أنثى الإنسان ومعظم الحيوانات الثديية تتجلى في أوضح مظاهرها حيال الضعاف من الأولاد (ولعل الأستاذ العقاد يذكر بيت المهمل:

كان كواكب الجوزاء عوذ معطفة على ربيع كسير
فلتأكد من صلاحية ولدها للحياة في نظر مجتمعه، كانت

(١) أقول عند معظم الحيوانات، لأن بعضها لا يحضن أولاده، بل

يلقي عبثاً ذلك على غيره، كفضيلة «السكركو» في الطيور..

(١) انظر مقاله بعنوان «الأسرة والمجتمع» في مجلة الرسالة عدد

٣٠ أبريل سنة ١٩٤٥.

(٢) انظر مقال بعنوان «الأسرة والمجتمع» بالرسالة عدد ٧ - ٤ - ٤٥

وإن نظرة يسيرة في أحكام الحضانة في القانون الروماني القديم والقانون الفرنسي الحديث وفي الشريعة الإسلامية ، وفيما تقرره هذه الشرائع من أحكام وقيود بهذا الصدد في حالة بقاء عقد الزواج ، وفي حالة فسخه ، وفي حالة موت أحد الزوجين ، وفي حالة زواج أحد الأبوين بزوجة أخرى أو زوج آخر ... إن نظرة يسيرة إلى هذه الأمور وما إليها لكافية في الدلالة على أن النظم الاجتماعية ، حتى في حالة إقرارها مبدئياً لحضانة الأبوين لأولادها لا تترك هذه الحضانة للفرز توجيهاً كما تشاء ، بل تتدخل في تفاصيلها وعناصرها ومدتها ، وتنص لها من القيود ما يبعد بها كثيراً عن سنن الفرز.

أبعد هذا دليل على أننا بصدد نظام يقوم على مصطلحات اجتماعية لا على أمور تقررها الفرز ؟!

٢ - وأما « الأمة الحمية بين فئة من الأقرباء » التي ظن الأستاذ أنها أمر غريب وأنها دعامة لجميع النظم العائلية ، حقيقة الأمر أنها ليست من الفرز في شيء ، وأن النظم الاجتماعية هي التي تخلقها خلقاً ، وتحدد مجراها ونطاقها ، وتسير بها في السيل الذي يرتضيه العقل الجمعي ، ويتفق مع ما تصطلح عليه الجماعة من أوضاع ؛ فإذا كانت الجماعة تسير في القرباة على « النظام الأمي » تألف أقرباء الفرد من أمه وأقارب أمه لحب ، على حين يصبح أبوه وأقارب أبيه أجنب عنه ، لا تربطه بهم أية رابطة من روابط القرباة ، ولا يشعر نحوهم كما لا يشعرون نحوه بأية عاطفة عائلية ، ولا بأية ألفة حميمة أو غير حميمة . وإذا كانت الجماعة تسير في القرباة على « النظام الأبوي » ، تنمكس الآية فتتجه العاطفة والألفة إلى الأب وأسرته ، وتصبح الأم وأسرته أجنب عن الولد لا تربطه بهم أية قربة ، ولا يشعر نحوهم بأية عاطفة أو ألفة . وإذا كانت الجماعة تسير في القرباة على النظام المشترك (وهو النظام الذي يعترف بقرباة الولد لكل من أبيه وأمه) مع ترجيح ناحية الأب أو ترجيح ناحية الأم اتجهت الألفة والعاطفة إلى الناحية التي يرجحها المجتمع أكثر من اتجاهها إلى الناحية الأخرى . وإذا كان محور القرباة في الأمة يعتمد على ناحية أخرى غير الأب والأم (وكثيراً ما تحقق ذلك في المجتمعات الإنسانية) انقطعت صلة الولد بأبيه وأمه معاً ، واتجهت عاطفته وألفته نحو الجماعة التي يلحقه بها مجتمعه^(١).

تغمسه عقب ولادته في دن من النيذ ، وتركه مغموساً وثناً ما ؛ فإن عاش بعد ذلك دل هذا على قوة بنيته واستحقاقه للثرية ؛ وإن مات أدت الأم واجبها بنحو المجتمع بأن خلصته من كائن ضعيف لا يستحق الحياة في نظره . وهذا النظام نفسه أو ما يقرب منه كان سائداً في أثينا وفي روما وقد أقره فلاسفة اليونان أنفسهم وعلى رأسهم أفلاطون وأرسطو . ومن ذلك أيضاً أن التقاليد الاجتماعية كانت توجب على الآباء في كثير من الشعوب البدائية وغيرها قتل أولادهم جميعاً أو بعضهم في جميع الحالات أو في حالات خاصة لاعتبارات دينية أو اقتصادية . ومن هؤلاء بعض عشائر من عرب الجاهلية كانت تقتل أولادها ذكورهم وإناثهم في بعض الحالات ؛ وعشائر أخرى كانت تصطن الذكور وتند البنات . وفي كثير من الشعوب كانت النظم الاجتماعية توجب على الآباء تقديم أولادهم أو بعضهم في حالات خاصة قرباناً للآلهة . ومن هؤلاء قسما المصريين والعبريين والعرب في الجاهلية . بل إن أقدم صورة للأصحية في المجتمعات قد تمثلت في الأصحية الإنسانية التي يقدمها الآباء من أولادهم^(٢) . وفي معظم المجتمعات الإنسانية ، إن لم يكن في جميعها ، لا يقوم الأب بحضانة ولده من السفاح ؛ مع أن الفرز لا تفرق بين ولد شرعي وولد غير شرعي ، وإنما جاءت هذه التفرقة من النظم الاجتماعية وحدها . بل إن الأم نفسها كثيراً ما تتخلى في هذه الحالة عن الحضانة فتقتل ولدها أو تلقيه في الطريق ، متصائمة عن نداء الفرز ، خشية ما تجره عليها نظم مجتمعاتها وعرفه الخلق .

وإذا كان الآباء في معظم مجتمعاتنا المتدينة الحاضرة يسرون في حضانة أولادهم في حالة الزواج الشرعي وفق النهج الفرزي إلى حد ما ، فإن السبب في ذلك يرجع إلى أن النظم الاجتماعية قد أوجبت عليهم حضانة أولادهم وتربيتهم على هذا الوضع ، وأتاحت لهم بذلك إرضاء غرائزهم . ولو أنها سارت بهم في طريق آخر ، كما كان الشأن في شعوب أخرى كثيرة ، ما استطاعوا إلى مقاومتها سبيلاً ، وما وجدت غرائزهم منفذاً إلى الظهور . على أن هذه الحضانة ، إذ يقرها المجتمع ويوجبها على الآباء ، لا يتركها للفرز تتجه بها كما تشاء ، بل يتدخل في تنظيمها ويضع لها قيوداً وأحكاماً يبعد بها بعداً كبيراً عن طريقها الفطري .

(١) انظر تفصيل ذلك بكتابي « الأسرة والمجتمع » صفحات ١١٨ - ١٢٤ ، ومقالتي « بالرسالة » في عدد ٣ - ٣ - ١٩٤١ عن « وأد البنات عند العرب » ، ومقالتي بمجلة الشؤون الاجتماعية عدد مارس سنة ١٩٤٠ عن « الأصحية والبرايين » .

(١) انظر تفصيل هذه النظم بكتابي « الأسرة والمجتمع » صفحات ٢٤ - ٢٩ - ١٢٤ .

الأمي » (وهو الذي تمتد القرابة فيه على الأم وحدها) . ففي هذه العشائر كانت الأم تقيم عادة مع الأب في منازل عشيرته ، مع أنها كانت تنتمي دائماً إلى عشيرة أخرى (فقد كان يحرم تزواج أفراد العشيرة الواحدة بعضهم من بعض) . وكان نساء العشيرة الواحدة يتزوجن من رجال ينتمون إلى عشائر متعددة ويسكنون مناطق مختلفة . وكان أولادهن يمتنضون النظام المتبع (وهو النظام الأمي) ينتمون إلى Totem أمهاتهم وعشيرتهن ، ويؤلفون معنى أسرة واحدة . وقد ترتب على ذلك أن كل أسرة من الأسرات التي تتبع هذا النظام كانت مبعثرة الأفراد ، لا يضم أعضاها مكان واحد ، ولا يمكن أن تتكون بينهم ألفة عاطفية ؛ يجمعهم ذلك الرباط الاجتماعي الديني ، وتربطهم بعضهم ببعض طائفة من الحقوق والواجبات ؛ بدون أن تنتظمهم وحدة جغرافية أو تؤلف بينهم رابطة إقليمية ، أو تتوافر الظروف التي تنشئ في نفوسهم ألفة بمعناها الوجداني الطبيعي .

علي عبد الوارث والي

دكتور في الآداب من جامعة السربون

فلنسا إذن بصدد أمور تحددها صلات الدم أو تقررها الفرائز ، بل بصدد نظم تصطلح عليها المجتمعات اصطلاحاً . والألفة التي يتحدث عنها الأستاذ العقاد ، حتى في صورتها العاطفية الخالصة : لا تقوم على أساس من الفريزة ؛ وإنما تخلقها النظم الاجتماعية خلقاً ، وتتجه بها في الطريق الذي تريد . على أن هذه الألفة لا تتمثل في أمور عاطفية خصب ؛ وإنما تتمثل أهم عناصرها في طائفة من الحقوق والواجبات التي تربط الأقرباء بعضهم ببعض . وغنى عن البيان أن هذه الحقوق والواجبات لا تدن بشيء إلى الفريزة ؛ وإنما مردّها إلى المجتمع وقوانينه ؛ بل لقد وصل الأمر في كثير من الشعوب الإنسانية أن انعدمت الألفة بمعناها العاطفي بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الأقرباء ؛ لأن الأوضاع الاجتماعية كانت تحول دون نشأة الألفة بينهم بهذا المعنى ؛ ولم تبق إلا الألفة بمعناها القابولي والاجتماعي متمثلة في الحقوق والواجبات التي تربط أفراد الأسرة وتربط الأقرباء بعضهم ببعض . وإليك مثلاً العشائر البدائية بأستراليا التي كان معظمها يسير على « النظام

لجنة النشر للجامعيين

تقدم كتاباً ممتازاً

مأساة الفونس دوديه الخالدة

الشيء الصغير

بقلم

أبو بكر أبو بكر عبد الرازق

قدم له

معالى الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا

يطلب من مكتبة مصر ومطبعها - ٣٣٠ صفحة - ٢٥ قرشاً

ويطلب في الخارج من وكلائنا

المراق - مكتبة المعارف - بغداد
البحرين - المكتبة الوطنية - القاهرة

فلسطين - مكتبة الطاهر، إخوان - يافا
لبنان - المكتبة الأهلية - بيروت

فإذا كنا قد شككنا قديماً من أن روح المدرسة كانت محصورة منذ زمن بعيد في تلقين التلميذ كثيراً من المعلومات ليصبها صباً في ورقة الامتحان ثم ينساها بمجرد الانتهاء منه ، فإن هذه الروح لا زالت قائمة إلى اليوم وهي التي تملئ على المدرسة ومدرسيها أعمالهم ، وتلئ على الطلبة طرق السير في حياتهم وفي تفكيرهم ، وفي غدواتهم وروحاتهم .

فإذا كنا نادينا في سبيل وحدة الأمة وتكاتف عناصرها بضرورة توحيد الثقافة في المرحلة الأولى من مراحل التعليم بإحلال المدرسة الموحدة محل المدرسة المشتقة من التعليم الإلزامي والأولى والريفي والابتدائي ؛ وإذا كنا نادينا في سبيل وحدة الأمة بضرورة توحيد معاهد المهنة الواحدة ، وعلى الخصوص معاهد المعلمين كدار العلوم ومعهد التربية وكلية اللغة العربية وإدماجها في معهد واحد لتخريج مدرسين متعاونين متضامنين عارفين بواجباتهم مقدرين لمسئولياتهم ، فإننا ننادي كذلك بضرورة إصلاح المدرسة القائمة بصفة عامة إصلاحاً يتناول روحها ونظمها ويحدد أهدافها ، ولن يتم لنا كل ذلك إلا بالتعاون الفنى والتعاون القوى . لا يتم لنا كل ذلك إلا إذا تعاون رجال التعليم عامة في لجان دارسة فاحصة تبحث عيوب النظام الحالي كلها وتناقشها في محاضرات ومؤتمرات عامة ، وتضع الحلول المختلفة للخلاص منها . ثم تدرسها بعد ذلك لجنة فنية عليا ليربئها وتصفيها . ومما يساعد على ذلك الآن وجود عدد كبير من المفتشين العاملين في مختلف إدارات التعليم بالوزارة . ثم يمرض الأمر أخيراً على مجلس المعارف الأعلى الذى سمعنا بقرب تشكيله . وإنه ليفرج الأمة أن يتكون هذا المجلس تكويناً قومياً بحيث يكون جامعاً لخلاصة المفكرين ورجال الأعمال من كافة الأحزاب ، وبإلتيه يضم عدداً من رجالات البلاد العربية الشقيقة حتى يكون عمله قومياً بحقاً معترفاً به من جميع الحكومات على اختلاف مذاهبها . وبذلك تسير مصر كلها ومعها بلاد الجامعة العربية في طريق واحد نحو هدف ثقافى واحد .

هذه هي الطريقة المثلى في حل مشاكلنا التعليمية ، وهي طريقة وإن كانت بطيئة إلا أنها مضمونة الفائدة محققة النفع ذات هدف سام يرحب به الجميع ، وأقل ما توصف به من خير أن الحلول التي تضعها لمشاكل التعليم لا تكون بنت يومها أو بنت الطفرة ، ولا تكون حلولاً مرتجلة نتيجة تفكير فرد أو أفراد محددين ، بل هي نتيجة بحث وفحص وتمحيص يشترك فيها الجميع وتعملها المصلحة القومية العامة ، مصلحة الأمة التي تطلب الوحدة وتنادى بها وتعمل لها .

عبد المجيد قمرى مصر

على ترفيتهم وسبق زملائهم . لذلك نجد أن الروح الجديدة أخذت مع الأسف تتلاشى تدريجياً بين مدرسى مدارسنا كما تلاشت بين تلاميذنا . فما بالك إذن بروح التعاون التي تتطلبها المدرسة والجامعة والأمة في سبيل نهضتها ووحدةها ؟ !

ولقد زاد الطين بلة ما كان من ثورة على مناهج التعليم كأن المناهج لا المعلمين وكأن الخطط لا النظم هي التي تكون الناشئين ! فلطالما اهتزت أركان الوزارة في ربع القرن الماضى بتغيير الخطط وتغيير المناهج وإطالة مدة مرحلة من مراحل التعليم وإنقاص أخرى من تلك التغييرات الظاهرية ، والتبديلات الجوفاء التي أضفت إلى جود الروح المدرسى عبثاً آخر من فوضى التغيير الظاهري والعبث بالاستقرار الحقيقي حتى ضج من ذلك المعلم والمتعلم . وكما نادينا على غير جدوى بأن المشكلة الحقيقية ليست في المناهج والخطط ولكنها في نظم الدراسة وروحها ومعلميها . ثم زاد الحالة سوءاً بعد ذلك ما كان من تشجيع الطلاب على الاندماج في الحزبية الجامعة التي دفت بالكثيرين منهم إلى الخروج على أبسط قواعد الأدب وتقاليد المجتمع !

كل ذلك يلهمه ويحمسه القاعمون على أمور المدارس والمتصلون بها من رجال التعليم والشرفون عليها . وكل ذلك نادينا بضرورة إصلاحه من زمن بعيد فلم نجد مع الأسف من القاعمين بالأمر إلا ارتجال مشروعات لا تمت بصلة صحيحة إلى إصلاح روح المدرسة ونظمها . وأعتقد أن رجال التعليم جميعاً يتحدثون بذلك ويدركونه ويتلمسون له الحلول فلا يجدونها !

وها هي ذى الأمة تقامى اليوم من جراء ذلك ما تقامى من فوضى الأخلاق ، وسوء معاملة الناس متعلمين وجاهلين بعضهم لبعض وعدم تقهيم بعضهم ببعض ، وأنانيتهم وجشعهم وقلة اكتراثهم بعمل الخير ، وقلة إقدام متعلمينا وشبابنا على المشروعات العامة بسبب فقدان التناصر والتعاون حتى بين أفراد الأسرة الواحدة وخروج الإبن على أبيه ، وعدم رعاية حقوق الأخوة والجوار ، وانتزاع الرحمة ممن يجب عليهم الرحمة للضعفاء والمعوذين ، إلى غير ذلك مما يفت في عهد الأمة ويضعف من قوتها ، ويوهن روح نهضتها ويضعف وحدتها . ولقد أحس بذلك الصغير والكبير ورجل الشارع ورجل التعليم . فما السبيل يا ترى لإصلاح هذه الحال ؟

الأفغانى والوحدة الإسلامية

الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

— ٤ —

—>>><<<—

وأخيراً ، أين بلغ الأفغانى من التأثير فى المسلمين بدعوته ؟
وأين وصل من الطريق إلى هدفه وغايته ؟ وماذا أجدى فى تحقيق
تلك الفكرة التى نهض لها ملء يقينه وجهد طاقته ؟

إننا نستمع إليه فى آخر حياته يرسل هذه الصيحة الأليمة
اليائسة إذ يقول : « إن المسلمين قد سقطت همهم ، ونامت
غرائيمهم ، وماتت خواطرهم ، وقام شيء واحد فيهم ، وهو شهواتهم ! »
ففى هذه الصرخة التى تفيض بالألم نرى الرجل مفيظاً محققاً ،
لأنه لم يجد فى المسلمين العزيمة التى كان يتمثلها ، والوثبة التى كان
يتوقعها ، وكأنه يقول : لقد ناديت لو أسمعت حياً ، والواقع أن
الرجل لم يكن يستطيع أن يبلغ أكثر مما بلغ ، فإنه كان ينادى
على قوم يأخذون طريقهم إلى الهابة ، وسن الوجود الاجتماعى
لها فى هذا حكمها الذى لا يرد ، وقد كان التيار المتدفق من الخارج
قوياً عنيفاً ، ودنيا النضال والنزال فى عهد جديد تسيطر عليه
الآلة ، وهو عالم لا يعرف عنه المسلمون إلا كما يعرفون عن عالم
السحر ودنيا الجان

غلب الرجل نجاحاً أنه فتح العيون على الخطر المائل ، ونبه
الأذهان إلى غاية الشر الثمر ، وأنه استطاع بصادق غيرته وقوة
يقينه أن يجعل من دعوته نقطة تحول فى حياة الشرق العربى ،
وأن يقيمه عقيدة اجتماعية لها تيارها واتجاهها فى تلوين الأفكار
وتوجيه العقول والأفهام ، على أننا لا ننسى أن الأفغانى فى هذا
كله كان لا يملك كثيراً من الوسائل المساعدة ، فهو رجل فقير
مضطهد ، الملوك وأهل السلطان يخذلون جهده ، ودول الاستعمار
وأهل المكرب يناهضون فكرته ، فراه كل يوم على سفر بضرب
فى فجاج الأرض ، كل ما فى قدرته أن يلتقى بأفكاره إلى أفهام
الطبقة المثقفة ، وكانت يومذاك قلة ، وليست فى يده الوسيلة التى
يصل بها إلى رأى العام ، ونحن نعلم من شواهد التاريخ أن الرأى

العام هو القوة الفعالة فى تحقيق الدعوات ، وأن الجماهير هى الوقود
الذى ينضج الثورات

ولعل أهم ما أجدى السيد الأفغانى فى توطيد دعوته والامتداد
بآثرها فى إيقاظ الشرق وتنويره ، هم أولئك التلاميذ ، أو على
الأصح أولئك الريدون الذين طبعهم بطابعه ، وصقلهم على غرار
وخلع عليهم كل ما خصه الله به من عبقرية الدرس وعبقرية النفس ،
فكانوا لسان صدق للدعوة ، وكانوا دعاة مخلصين واجهوا بها
الأحداث فى إباء وشجاعة ، ولاقوا من أجلبها الأهوال فى قوة
وصرامة ، وقد كان أبرز هؤلاء الدعاة الأستاذ الإمام الشيخ
محمد عبده رضوان الله عليه ، والسيد عبد الرحمن الكواكبي
رحمه الله

أما الشيخ محمد عبده ، فقد كان صوتاً متفقاً مع الأفغانى ،
شاركه الرأى والجهاد فى ميدان واحد ، وأما الكواكبي فكانت
حياته أشبه ما تكون بحياة أستاذه فى الرحلة والتنقل من قطر إلى
قطر ، وكانت نعاله ودعوته إلى الوحدة صورة مطابقة لما كان
ينادى به الأفغانى . كان الأفغانى كما مر بك يرى أن تقوم
الدعاية للوحدة بعقد مؤتمر عام كل سنة فى مكة يجمع أصحاب
الكلمة والرأى من العلماء لحسم كل نزاع ، وتدير كل ما من
شأنه النهوض بالمسلمين ، فتطوع الكواكبي لعقد هذا المؤتمر
فى عالم الخيال أو فى عالم الأمل ، وندب له أعضاء من جميع
الأقطار الإسلامية ، ووضع أمامهم حال المسلمين للبحث وتمحيص
الرأى ، وقد جعل هذا موضوع كتابه المعروف « بأم القرى » ،
وهو اسم أخذه أيضاً من اسم الجمعية التى كان أنشأها أستاذه بمكة
من قبل

ولكن هؤلاء الدعاة ، وهم ما هم فى صدقهم وإخلاصهم
لم يستطيعوا أن يتمسكوا إلى آخر الشوط بدعوة الأفغانى فى نصها
وحرفيتها كما يقولون ، لأن الحوادث كانت تتطور تطوراً سريعاً
يحيط بهم ، ويكبر على جهدهم ، فكان عليهم أن يلاعوا بين خطتهم
وبين طبيعة الحوادث ، وقد تبصر المعتدلون من هؤلاء الريدين
والأتباع ، فأروا أن وحدة تشمل سائر الأقطار الإسلامية ومجموعها
فى صعيد واحد لا يمكن أن تقوم لا فى الوضع السياسى ولا
الاجتماعى ولا العمرانى ، وأن الفكرة فى ذلك فكرة قضاينة

في السلطنة العثمانية ، ثم أعلنت دستور سنة ١٩٠٩ ، ففمرت العرب موجة من السرور والارتياح ، وشاموا في هذا بداية عهد جديد يؤدي إلى جمع القلوب ، ولكن سرعان ما تكشفت الأمور ، فإذا هي هباء ، والأعيب ، وإذا الاتحاديون الذين أعلنوا الدستور واجهوا من أجله أشد الفلاة في هضم حقوق العرب والاستهانة بحريتهم وكرامتهم ، وظهر لأبناء العروبة أن «القرمانات» التي حررت ، والدستور الذي أعلن لم يكن إلا خيراً على ورق ، فاقبلت آمالهم إلى خيبة مريرة ، وحسرة قاسية ، واشتدت عصبيتهم لجنسياتهم ، ووقفوا والعثمانيين وجهاً لوجه .

كانت هذه الحركة أقوى ما تكون في سوريا والعراق لوقوعهما مباشرة تحت سلطة تركيا ، ولكن مصر كانت أوسع ميدان لها وأفصح مجال للمالين على امتدادها ، إذ كانت مصر في هذه الفترة موئلاً للمتمردين على الحكم العثماني من أبناء الأقطار العربية ، كما كانت مجال حركة فكرية تملك من الوسائل والأسباب ما لا يملك غيرها من أقطار العالم العربي ، وامتد تيار هذه الحركة على أوسع ما يكون ، وتألفت أحزاب وجمعيات ومتمديات كثيرة في مصر ويروت وفي الأستانة نفسها ، وكل منها يعمل في طريق للنهوض بأبناء العربية ، ووقف الشعبويون من أنصار الرابطة «الطورانية» يناهضون هذا الاتجاه ويناضلون العرب فيما يدعون إليه ، ووجد أنصار الأغراض الاستعمارية لأنفسهم من هذا منفذاً لبث آرائهم ودعائهم ، فكان أن أصبح الرأي فوضى لا أقوام له ، وأصبح المساواة للوحدة والنهوض يخضعون لتيارات مختلفة ويعملون لأغراض متباينة ، ففي مصر مثلاً كان الرأي القوي الذائع هو أن تنال مصر استقلالها وأن تتحد مع جاراتها العربية ، على أن يكون ذلك في ظل الولاء للخلافة العثمانية ، ولكنك كنت تجد في الجهة المقابلة رأياً يدعو إلى الاستقلال عن كل سلطة خارجية وصلة أجنبية ورعاية مصالح مصر قبل أي اعتبار آخر ، وفي سوريا والعراق كان جماعة ينتصرون للعربية من عسف الأتراك ، ويدعون إلى الوحدة على أن تظل على الإخلاص لبني عثمان ، ولكن الرأي السائد كان عداوة للأتراك ، وعصية للجنس ، وتشجيعاً على الاستعمار العثماني في جميع أطواره ، وكان أصحاب هذا

متموجة لا تحدها معالم ثابتة ولا تسندها مقومات متينة ، فضلاً عما تثيره من الاتهامات والشبهات وما تلاقيه من المناهضة والمقاومة فمدلوا عن الوحدة الإسلامية إلى الوحدة العربية ، واختزلوا رغبة الأقباط في قيام وحدة تشمل سائر الأقطار الإسلامية إلى وحدة عربية تجمع الأقطار المتجاورة المتشابهة التي وحدثت حوادث التاريخ الماضي بينها في اللغة والتفكير والمظهر الاجتماعي ، والتي تؤلف بينها الأغراض المشتركة والآمال المتفقة في الفوز بحياة الحرية والمنة ، ولم يكن قصدهم «العربية» المحصورة في شبه الجزيرة العربية فحسب ، بل كانوا يقصدون أيضاً ما يتفرع عنها من الجنس السامي في العراق وسوريا وفلسطين ولبنان ، وما يتصل بها من الجنس الحامي في مصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، وكانوا يعتقدون أن رابطة تشمل هذه الأقطار مما يدخل في دائرة الإمكان ، بل إنها قائمة روحياً ومعنوياً ، لا ينقصها إلا خطوة نحو التنفيذ والإنجاز !

وإذا كان دعاة «الإسلامية» قد وقفوا في تأييد دعوتهم عند أساليب الحث والوعظ والتذكير والإهابة بضرب الأمثال وأناشيد المجد السالف ، فإن دعاة «العربية» قد أخذوا في دعم فكرتهم بأساليب الفلسفة السياسية والاجتماعية ، وخلصوا عليها لباساً علمياً من النظريات العلمية التي كانت شائعة بين العلماء في ذلك الوقت . كانت الجامعة السياسية في رأى علماء الألمان تقوم على وحدة اللغة ووحدة الجنس ، وعند علماء الطليان ترتكز على وحدة التاريخ ووحدة العادات ، وعلى مذهب الفرنسيين تعتمد على وحدة الطموح السياسي ونفوذ السلطان ، وفي جماع هذه الآراء والاتجاهات وجد دعاة العربية بهاناً لدعوتهم ، من وحدة اللغة ، ووحدة الجنس ، ووحدة التاريخ ، ووحدة التقاليد ، ووحدة الطموح السياسي ، وبهذه الصبغة صبغوا دعوتهم ونادوا بفكرتهم وانتصروا لها بكل ما يملكون من أساليب البيان واللسان

وأذكي تيار هذه الفكرة ما كان من غطرسة الحكم التركي في الاستخفاف بمحقوق العرب والنظر إليهم بين الإغضاء والاستهانة ، وقد اضطرت تركيا تحت هذا الضغط إلى إصدار كثير من «القرمانات» تعلن فيها المساواة بين الأجناس والأديان

وأمدت تركيا بهبات سخية من المال والعتاد ، وأعانت للتكوين إعانات فياضة ، مما دلّ على الإخلاص في النية ، والصدق في العزيمة ، والنور في الملأت .

واطردت الأمور متقلبة متحولة ، ومضت الأحوال تجري بين جزر ومد ، ولم تلبث الحرب الماضية أن نشبت على أوسع رقعة ، ودخلتها تركيا إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء ، فطوى كل رأى في صدور أصحابه ، ووقفت كل دعوة عند حدودها ، وأصبح الأمر للدعائيات الحرية والسياسات الحزبية والاتجاهات الملتبسة التي لا يرتبط فيها اللسان بالقلب ، ولا يتصل فيها القول بالعمل ، وفي هذا الجو ظهرت دعوة إلى « العربية » في شكل جديد وعلى وضع جديد ، وكان الغرض فيها يدور حول الحركة التي قام بها السلطان « حسين بن علي » في الحجاز ، وامتدت دعائياتها إلى سائر الأقطار العربية ، وكان هذا الغرض هو ما تكشفت عنه الحوادث في أعقاب الحرب الماضية ، وكان أثر هذه الدعوة الجديدة هو ما انتهت إليه بعد .

الغرض :

فأنت ترى فيما أوردها عليك ، أن الدعوة إلى الوحدة إنما نشأت « إسلامية » قوامها القرآن في لسان الأفغانى ومحمد عبده والنكواجي وأضرابهم ، ثم انحزت إلى « العربية » في تقدير المتدلين ممن جاءوا على آثرهم ورسموا طريقهم ، ثم تشعبت هذه « العربية » فيما بعد إلى شعب لها مراميها وأغراضها ، ولها أساليبها وسبلها ، ولا شك أن التورخ السياسي والاجتماعي للحياة الشرق العربي في العصر الحديث لا بد له من تحليل هذه التيارات كموامل وعناصر كان لها أثرها في توجيه الرأى السياسي والاجتماعي الذي سيطر على الحركات الأخيرة ، وكيف النهضة الحديثة ، وأدى إلى ما بلغتة الأقطار العربية اليوم ، بل وما ستبلغه في الغد ، والفضل في هذا كله للأفغانى العظيم ، الذي وهب نفسه للوحدة ، وظل طول حياته يجاهد في سبيل هذه الدعوة .

محمد فهمي عبد اللطيف

(تم البحث)

الرأى يستقدون أن العرب إذا انسلخوا عن الوحدة العثمانية في مقدورهم « أن يقيموا لأنفسهم دعائم استقلال سياسي » ، ولا بأس عليهم من الاستثمار الأوربي ، وكان أكثر أهل هذا الرأى من « محترفي السياسة ونجارها » كما يقول بعض الكتاب ، ولنا في مقام توزيع السمات وتحقيق الاتهامات وتقعيد الآراء ، ولكنا في الإمامة عارضة أوردها على قدر ما يقتضيه الموضوع الذي نحن بصدده في بيان الأثر الذي امتدت به دعوة الأفغانى .

هذه الفوضى التي اضطرت بالأفهام وبسبب الأفكار ، وهذه الأغراض التي دخلت على الدعاة إلى الوحدة العربية واردة من « أوروبا » ، جعلت العقلاء ينظرون إلى المسألة بعين التبصر مرة أخرى ، ويحكمون فيها عقولهم قبل أن يندفعوا إليها بعواطفهم ، فظهر لهم أن هناك خطراً مائلاً يهدد كل وحدة في الشرق مهما كان لونها أو اتجاهها ، وأن أوروبا تريد أن تضع يدها على تركة المسلمين تحت سمعهم وبصرهم ، وأن « القوة العثمانية التي تحل الاستقلال السياسي للمسلمين والتي هي مظهر السيادة الإسلامية قد أصبحت معرضة لأشد الأخطار » ، ظهر كل هذا للعقلاء المتبصرين ، فأشفقوا من الخلاف القائم ، وانبروا يدعون إلى الاتحاد تحت راية الخلافة ، ومحضون على وحدة شاملة لمداغة الخطر ، وكانت مصر أفصح ميدان لهذه الدعوة وأعلى صوت في الدعاية لها والحض عليها ، لأن ما كانت تعانيه من عسف « كرومر » قد بصرها بالأمر ، ولأنها كانت في النهضة الوطنية والفكرية أسبق وأنضج ، ولأن صلة « بيتها الحاكم » بيني عثمان كانت تقوم على المودة والقرابة .

وبين عشية ونعها وضع الأمر وتكشفت الحقيقة فيما توقعه أولئك العقلاء ، إذ تألبت ممالك البلقان على الدولة العثمانية ، ودهمت إيطاليا طرابلس وبرقة وضرب أسطولها بيروت في غير شفقة ولا رحمة ، فوز هذا من أرمحية المضربين ، واستثار عواطفهم وشجونهم ، وارتفعت الأموات بالإشفاق على مجد الإسلام ومعاله الباقية ، وعادت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية لتكون قوة في وجه الاستثمار الذي كشف عن ناجذيه في غير مواربة ، وقد بذلت مصر بذل المخلص الشريف في نصرة العالم الإسلامي ،

هرموبوليس مدينة الحج

للاستاذ فوزى الشتموى

انقرض من مصر

في أساطير قدماء المصريين أن جماعة اجتاحت بلاد النوبة فتسكت بأهلها وزرعها ، إلى أن خف إليها الإله توت على شكل قرد أخذها وأعاد إليها الأمن ورغد العيش . والإله توت من أقدم معبودات قدماء المصريين . وله رمزان يتشبه أحدهما على صورة طير أبي منجل . ويثله الثانى صورة وجه القرد .

وقد تبين من حفريات جامعة فؤاد الأول برئاسة الدكتور سامى جبرة فى منطقة توتة الجبل قرب ملوى أن أرض مصر فى عهد الفراعنة كانت تضم مجموعة كبيرة من الحيوانات التى انقرضت أو هاجرت إلى بقاع أخرى ومنها طير أبي منجل والقرد . والأول من فصيلة أبي قردان وله طباعه فى الفلك بالحشرات الضارة بالإنسان وزرعه .

رمزاه الملوك

قال عنه هيرودوتس المؤرخ اليونانى إنه كان يسكن بين جبال سينا فياً كل الثعابين والحيات قبل دخولها أرض مصر . ويقول الدكتور سامى جبرة إن المصريين شهدوا ازتان مشبته ووقاره ، فأعجبوا بصفاته العالية ،

وأخذوه رمزاً للإله المعرفة ، ولئن كانت قوانيننا الحالية تحرم صيد أبي قردان ، وتفرض النمرانة والسجن على مقتنصه فإن قوانين القدماء كانت تقضى بإعدام من يقتل



(شكل ١)

طائر أبو منجل وأمامه تمثال الآلهة مان إله العدل

والقرد من الحيوانات النادرة التى تهلل جماعتها إذا أشرقت الشمس وتنوح وتندب إن آذنت بالغروب . والمصريون القدماء

معروفون بدقة الملاحظة . رأوا فى تهليله ونواحه علامة على معرفته لأسرار الشمس والعالم الآخر .

والإله توت إله المعرفة ، يعرف ما خفى وما استتر ، ويحق الحق ويرزق الباطل . وهل للإله المعرفة من رمائش من الأتران كما تتشبه فى أبي منجل ؟ وهل من إدراك بالغيب وسر إقبال الشمس واختفائها أعمق من إدراك القرد ؟ رأى المصريون فى الحيوانين صفات شديدة الصلة بالإله توت فأخذوهما له رمزين جيين ، ورفعهما إلى مركز التقديس .

وزال أبو منجل من مصر ، ولكنه لا يزال يقطن السودان وشواطيء إيطاليا الجنوبية ، كما يعيش القرد فى عدة أماكن منها السودان . وعرف رمز الإله فى عهد الفراعنة باسم توت ، فلما أقبل اليونان والرومان رأوا فيهما تشابهاً مع إله المعرفة عندهم فسموه هرمس .

وأطلقوا على بلدة أشمون الغربية اسم هرموبوليس . ولتوت فيها مقابر من السرايب العصرية قال عنها هيرودوتس إن مساحتها ٤٠ فدانا ضمت حث آلاف القردة وأبي منجل .

ولعل القارىء سمع عن بلدة الأشمونين أو بلدى أشمون . والغربة منهما تكون من قبور الإله توت ومعابده ومكان الحجاج والشرقية هى مركز الحياة المدنية والإدارية . وقد كشفت حفريات الدكتور سامى جبرة عن المدينة المقدسة فأعطانا معلومات هامة عن فترة من أشد فترات التاريخ المصرى القديم غموضاً وهى ما يسميه الدكتور بعصر الانتقال . إذ يربط بين المدينة المصرية وبين المدينة اليونانية الرومانية . وهناك قطع أثرية جمعت بين النين . وقد امتدت إلى ما قبل العصر المسيحى بقليل .

مجهول ينكشف

ويقول الدكتور إن أبحاث الجامعة هناك تشمل فترة تبدأ من القرن السادس قبل الميلاد . وتمتد إلى القرن الثالث بعد الميلاد ، أى أنها تضم تسعة قرون من الزمن . ولا تخلو آثارها من مفاجآت ، فى أحد السرايب وجد ناووس للاله توت يخص الملك رمسيس الثانى من عهد الأسرة التاسعة عشرة .

ويرى مؤرخنا أن أهمية منطقة الأشمونين ترجع إلى موقعها الجغرافى والتاريخى . فهى فى مفترق الطرق بين مدينة طيبة قرب الأقصر وبين مدينة ممفيس فى الدلتا . وهى منطقة واسعة الثروة

وإن كان صاحب الرمز فقيراً ودفع قدراً قليلاً من المال حطت الحثة من الدرجة الثالثة ، ووضت في إناء من الفخار ، ثم دفنت في حجرات واسعة منتشرة على جانبي السرايب صفاً سفا . فإن اكتمل نظام صف وضعت فوقه طبقة من الرمال لتبدأ طبقة أخرى من الحث إلى أن تملأ الحجرة فيبدأ الدفن في غيرها ودفن الأترياء مع رموز آلهتهم تماثيل وتماثيل تمثلهم لتحل على أشخاصهم بركة الآلهة . وكانوا يضمونها في صناديق من خشب الجيز الذي أثبت أنه لا يبلل بحر السنين ، وأنه أقوى أنواع الخشب متانة واحتمالاً بخلاف ما يقول النمل البلدي « تخن على الجيز » وكتب بعضهم على هذه الصناديق أدعية .

معرات تحنيط الموتى

وقرب مدخل السرايب وجدت غرفة تحنيط كاملة المعدات وتبين جميع مراحلها ، في أحد أركانها إناء كبير يحتوي على مادة التحنيط نفسها ، ولكن تحليلها لم يكشف عن سر تركيبها ، فإن انتهت هذه العملية حمل الكهنة الومياء في موكب ديني وهم يرتلون أدعيتهم وزلوا اسم السرايب بظهورهم إلى أن يضموها في مقراها الأخير وأحد هذه السرايب خاص بالعطاء ، نقش سقفه بالألوان وزين بالرسوم ، وتغطيه الآن طبقة خفيفة من « الهباب » لا يعرف مصدرها وإن كان يظن أنها أثر حريق شب في السرايب أو لأن المسيحيين كانوا يلجأون إليه هرباً من اضطهاد الرومان فيتمساعد دخان مسارجهم ويفطى السقف بلونه القاتم واحتفظ معبد الأرواح المقدسة في أحد السرايب بنقوشه وآثاره . شيد أحد البطالسة تقرباً من المصريين وهو يمثل الإله توت على شكل قرد يستقبل أشعة الشمس . ويلاحظ أن جميع غزاة مصر حاولوا التقرب من المصريين وحكمهم عن طريق الاندماج في دياناتهم ، فقد وجد ناووس قرد للملك داريوس الفارسي . وتحاط مدينة الحج بسور متدرج في الارتفاع تكون كل ثمانية أعمدة درجة . والثمانية هو درج ، والثمانية هو رمز تلك المنطقة وتعبير عن عدد آلهتها الثمانية المعترف بهم في ذلك الوقت . فلا نجد هناك شيئاً يتكون من ست أو سبع بل ثمانية ومضاعفاتها وحتى مدخل السرايب أضواء بئاني مسارج .

نوزي السرى

يتسع فيها وادى النيل فيغطي رقعة واسعة من الأرض هي في الواقع أوسع منها في أى بقعة أخرى .

وتتفرع من هذه المنطقة أيضاً طرق قوافل تخرق البقاع إلى السودان وإلى البحر الأحمر . كما يخرقها نهر النيل وبحر يوسف فتجود أرضها بالوفير من الغلات والحاصلات .

وقد بدأت الحفريات في سنة ١٩٤١ في ظروف قاسية فلم يكن بالمنطقة ماء ولا سكان ، بل كانت تلالاً من الرمال يتراوح ارتفاعها بين ١٢ متراً و ١٥ متراً فلم يكن هناك مقر من المبيت في خيام أو أكواخ صغيرة ، فتحمل الجميع شظف العيش هناك . وعلى مر السنين أقيمت البنايات ونيسر الحصول على الماء والغذاء وأصبحت من أجل البقاع .

مدينة الحجاج

ومدينة الحجاج تتكون من ثلاثة سرايب طويلة متفرعة اتخذت مدافن لثلاثة توت . شيد إلى جوارها بناء كبير يتكون



(شكل ٢)

داخل السرايب وترى فتحات دفن الطيور والقردة

من عدة غرف لتنظيم دفن جثث الطيور أو القردة . فإن مات واحد منها نقله صاحبه إلى الكهنة ودفع قدراً من المال يقرر تبعاً له مدى إتقان التحنيط ومكان الدفن . فإن كان كبيراً حنط رمز الإله تحنيط الدرجة الأولى ودفن في فتحات خاصة حفرت في الصخر على جانبي السرايب . فحرف مكانه ونيسر له زيارته كل عام في عيد الإله توت في أول الشهر المعروف باسمه في التقويم القبطي ، ويوافق ١٦ يوليو في بدء الفيضان .

عيد الجلوس والبيع والسلام

للهُستانه محمد عبد الغنى منى

لواهُ مُلْكُكَ يا مولاي منشورٌ

وعيدك السَّمَح ضاحي الوجه مشهور

له على الأرض ضجّات وجلجلة

وفي السموات تهليلٌ وتكبير

يومٌ من الخلد قد خُطت صحافه

كأنه في سجل الخلد مسطور

مع الربيع قد انهلّت بشارته وللربيع إذا وافى تباشير

كأنه مؤذنٌ بالخصب في بلد

تراؤه في كتاب الله مذكور ...

مولاي تلك الأسارى التي انبسطت

ما أشرفت مثلياً فينا أسارى

مولاي تلك الأزاهير التي ابتمت

ما شابهتها على الروض الأزاهير

تبسم الزمن المنكود واعتدلت أموره وتحامتا الأعاسير

ومرّ من سيئات الدهر ما غفرت

وكلّ سوء على الأيام مغفور

وأصبحت مصرُ والأيام مقبلة

والخطّ في أمرها جدلانُ سرور

لما جلست أقال الله عثرتها وصافحها على الخير المقادير

مولاي عيدك هذا السامُ تنمره

بشرى السلام وَيَسْرَى قَوْقه النور

كأنه من هُتاف الحق أغنية أو أنه من نشيد السلم مزُمور

كان الطغاة لهم تديرٌ منتقم فينا ، والله يا مولاي تدير ...

رَمَوْا والله في أغراضهم هدف

وقدّروا ، ولحكم الله تقدير ...

شَنّوا على الأرض حرباً غير عاقلة الجوّ منها لظى والبحر تنور

ظنوا الليالي عليهم غيرَ دائرة من اطمأنّ إلى الأيام مفرور

الأرض ضاقت عليهم وهي مُفزعّة

والجوّ سُدّ عليهم وهو مدعور ...

كم أمرٍ بات منهم وهو مؤتمّر

وأمرٍ بات فيهم وهو مأسور ...

مولاي : في الشرق نورٌ كم أمناه به

على الدجّات في التاريخ ديمجور

وللعسوية يا مولاي ألوية

يُنْبِيك عنها من الرومان « تقفور »

لواؤها في دروب البر منتصر

وجيشها في خِصم البحر منصور

إذا غزت فهي نيران مسمرة وإن رمت فهي تخريب وتدمير

ماضٍ من العيش قدولت بشاشته وما جرت فيه بالسمد المقادير

قد غيّر الدهرُ يا مولاي سيرته والدهر في صرفه حولٌ وتغيير

إنا لنرجوك للآمال نجبرها فكل كسر على كفيك مجبور

عسى الليالي التي ضاعت نفاستها تعود منها النياق وهي بخضور

ما دام فيه قلوبٌ مثل قلبكمو فكل معسورة لا شك مبسور

فكن إلى المجد ركناً في بنايته فإنما الملك إصلاح وتعمير

يا قائد الجيش إن السيف ما برحت له على الأرض آراء وتدير

كنى الوقوف بجديس يحفظه إلا الفوارس والأسد المغاوير

من قاته السيف في الدنيا فليس له

من ذنبه في حِفاظ الحق تكفير

لا يحفظ الحق إلا السيف منصلتاً

دعوى السلام تلك الأرض تقرير ...

ذلك الصـوت!

للهُستانه ابراهيم العريضي

يا ابنة الحسن! قد عشقتك صوتاً يتم ادى على جناح الأثير

أنا أصني إليك في ركلة اللب ل كائي في عالم مسحور

ليت شمعى! أيضاً حلك البدر لي أم أنا في وسط حفلة للطيور ؟

لم أكن قبل ذلك الصوت أدرى أن في الأرض كل هذا السرور

ما عت من لحونك الأذن لحناً إنما غبت ... غبت بين الزهور

يا طريد الجنان! عرج على الخالد ، فاذاك غير صوت البشير

هو كالروح ... في ضلوعي منه حفقة ، بللت أرق شعورى

هو كالورد ... ما نشقت بأني ريحه ، بل لمستّه في ضميري

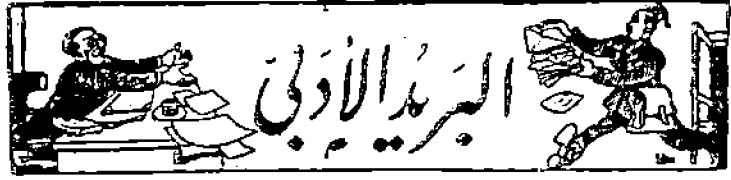
هو كالصيف ... ليله مر بالأنجم يزهو ، في قلبي الحرور

هو كالنجم ... ما نصوّرت إلا أنه في السماء بات سميري

كنت في ظلمة ، أعيش لذكرى

حسن ، حتى حظيت منه بنور

هو دنيا من الشعور لقلبي يا دنيا - في وحدتي - من شعور



في صرح كلية الحقوق بجامعة فؤاد

دعني حب الاستطلاع إلى مشاهدة مناقشة رسالة الأستاذ (أنور مصطفى الأهواني) في يوم السبت الماضي عن «رئيس الدولة في النظام الديمقراطي» التي تقدم بها إلى (كلية الحقوق) بالجيزة. ولطالما تأقت نفسي—بعد أن طوفت ماطوفت في جامعات أوروبا وشهدت مناقشة رسائل عدة بها— إلى أن أحضر نقاشاً في جامعة مصرية يكون فيها المحكم والمحكم إليه من المصريين. ولقد تركت أحسن الأثر في نفسي تلك الساعات القليلة التي قضيتها في مدرج كلية الحقوق أستمع إلى الحوار الذي دار بين أعضاء لجنة التحكيم وبين مقدم الرسالة. وراعى حقاً حرص المحكمين جميعاً على الفصل بين السلم والسياسة، وإيثارهم التفرقة بين لغة الكتب ولغة الصحف، وأن يكون النقاش كله بالعربية الفصحى وإن رأيت لأئمة الكلية غير ذلك

وكان يسود الجلسة روح من المرح والإفادة، وكان ينشأها جلال العلم وورعته لولا ما تخللها من تصفيق استحسان أو قهقهة استملاح. وحذا لو عمل رؤساء لجان التحكيم على أن يظل للعلم حرمة ولقاعة الباحث ما لا يذهب بقديسيها ويصيرها سرادقاً يضم خطباء ومعيجين.

ولقد أظهرت مناقشة المحكمين للرسالة دراستهم إياها دراسة مستفيضة وإلمامهم بموضوعهم إلماماً تاماً، ودلت على غزارة مادتهم وإطلاعهم على ما كتب الأعاجم، ولا غرو فمن بحرهم نهلوا أو عليهم تلمذوا. وعندي أن لو هي لهذا الشباب الناهض من الأساتذة، مجال العمل وإيقاف النفس على العلم وحده دون تطلع إلى مناصب القضاء أو الإدارة لأنى بأطيب الثمرات، ولأنجبت مصر مثات من عبد الحميد هدي وأحمد ماهر

وكان غريباً أن يطلب إلى المرشح أن يذكر ملخصاً لأطروحته باللغة الفرنسية، ولا أكتفك أنني أحسبت عند ذاك بخدش في عزق القومية، وتساءلت كيف تكون في جامعة مصرية، وبين أساتذة وطلبة مصريين نقاش

رسالة مصرية بلغة أجنبية؟ ولم يذهب بدهشي إلا قول جاري إن لأئمة الكلية تحيز ما كان. إلا أنه إذا صح للأئمة أن تحيز ذلك أيام أن كنا قراء في العلماء وكان الأساتذة الأعاجم يشتركون في مناقشة الرسائل، أو لا يحذر بنا أن ننقل هذا الأمر اليوم بعد أن توفر بيننا العدد الكافي من المحكمين المصريين؟

ثم أعود فأقول إن من صواب الرأي أن يؤذن للطلاب بالحديث والرد وهو جالس لا أن يترك أكثر من ساعة واقفاً كالخطيب يستند على إحدى قدميه تارة وعلى الثانية أخرى. إن المرشح يكون في حال نفسية تتطلب أن توفر له أسباب الراحة، ولن يكون هذا بتركه باقي ملخص رسالته وهو واقف والكرسي بجانبه. ولعل إدارة الكلية تفكر في أن تنفع ثلاثة مصايح ثابتة على منصة المحكمين أمام كل عضو مصباح حتى لا يتكرر ما تكرر في الجلسة التي نكتب عنها مما ذهب ببعض جلالها.

وبعد، فلقد كان الدكتور سيد صبرى بارعاً في حاجته للطلاب وإن ظهرت عليه روح التحامل حيناً وروح الخطابة أحياناً. وكان بارعاً كذلك في دفاعه عن نفسه وتصله من أنه «يميل إلى الحلول الوسطى» أو «أن بعض العبارات في كتابه غامضة» وكانت روح الدعابة التي مزج بها نقده تخفف على المتحكن بعض ما لقي منه.

أما الدكتور وحيد رأفت فكان حواراً حوار العالم الذي لا يرى من وراء مناقشته إلا إلى الوصول إلى الحقيقة وإرشاد الخطئ إلى مواضع خطئ. وكان التزام سبيل المنطق في الإقناع أكبر عون له على بلوغ غايته؛ وألبست نبرات صوته الترتبة الهادئة الجلسة جلالاتاً فوق جلالها؛ فكان الكل آذاناً صاغية له.

وكان صديق الدكتور عثمان خليل مثلاً للشباب الحى. ولقد

فيه من قبل الدكتور زكي مبارك مع أنه قد ميز بينهما في هاش من هوامش كتابه التصوف الإسلامي .
وإذا كان الأمر كذلك فإني أسأل الدكتور أن يحررنا :
من أتباع أي المذهبين كان أبو سعيد « ولكم الشكر .

دس على الحارة

إلى الأستاذ محمد يوسف موسى

قدم الأستاذ محمد يوسف موسى كتابه « ابن رشد
القيصوف » إلى الأستاذ أحمد عاصم بك المدير العام لدار الكتب
الصلرية فأرسل إليه هذا الكتاب .

شكرتك من قبل على هديتك العلمية القيصة ، كتابك عن
« ابن رشد الفيلسوف » ، والآن وقد قرأته أكثر من مرة ،
أرى من حق هذا السفر المشع أن أبث إليك بكلمة تعبر عن
مدى تأثيره في نفسي .

لقد كنت إلى عهد غير بعيد أشعر بشيء من الضجر كلما وقع
في يدي كتاب في الفلسفة أو عن الفلاسفة ، وكنت ألس مثل
ذلك الشعور في إخواني الذين لا أشك في مقدرة العلمة ، وكان
هذا الملل يتطور أحياناً إلى درجة « النفور » من الفلسفة ، حتى
حلتني ذلك على تلمس السبب في هذا الشعور الشترك بيني وبين
من أعرفهم من صفوة المثقفين المفكرين ، فلم أجد لذلك سبباً
إلا ما يتوخاه بعض من يكتبون في الفلسفة من طرق معقدة كثيرة
النفوس والدوران ، توحى أحياناً بأن المؤلف نفسه لا يملك ناصية
مادته ، ولا يستطيع صوغها في قالب السهل الواضح الذي يحجب
القارئ الحيرة ، ويشبع أطماعه ويحبب إليه ما يقرأ .

ولكنني قد لست الآن والله الحمد تطوراً عظيماً في أسلوب
الكتابة في الفلسفة ، يشر بعصر مزدهر في حياة هذه المادة ،
فهو لا يعوزها غير إقبال القراء عليها ، والمؤلفون وحدهم الذين
يلكون هذا التيسير . فإن قلت لك إن كتابك حلتني على قراءته
عدة مرات ، علمت بعد هذه التوطئة التي سقفتها مبلغ تأثيره في
نفسى ، ومدى إعجابي به وبأسلوبه .

برهنت مسأيرته الطالب في المناقشة متتبهاً الرسالة صفحة صفحة
على أنه « قتلها بحثاً » ولو كنت ذا إمرة لأذنت لعضو اليسار
بأن يكون البادى في المناقشة ؛ فهو عادة أحدث الحكمين سناً ،
وأن سقفة بغيره مما يفوت عليه كثيراً من نقده .

ولو أن الدكتور عثمان الترم اللغة العربية الفصحى في مناقشته
لكان حواراً شأن آخر . ولت شعري لماذا كانت تبدو عليه
أمارات الغضب والتألم وهو يعد المآخذ على الرسالة ؟ إن كان
المصنف قد أسرف في الاقتباس إسرافاً حول الرسالة إلى
« ملخص » مدرسى ، فكيف أذنت له الكلية في طبعها ؟ كيف
أذنت في أن يحمل اسمها كتاب ليس لواضعه فيه إلا الجمع والترقيع ؟

عبد العزيز برهام

إلى الدكتور جواد علي

قلت في السطر الرابع من العمود الثاني من مقالتي القيم
« أبو سعيد أبو الخير وشطحات التصوفة » في عدد الرسالة السابق
٦١٨ ص ٤٧٣ : « وأبو سعيد ... كان على رأى أكثر
التصوفة القرن في مذهب الحلول ووحدرة الوجود بل كان من
متطرفي أصحاب هذا المذهب في هذه العقيدة » .

وأقول إن ثمة فرقاً كبيراً بين مذهب الحلول ووحدرة الوجود
حتى إنه لا يحق لنا أن نجتمع بينهما ونقول إن أبا سعيد كان من
أتباعهما معاً . إن المذهب الأول اثنيني dualistic يقول بطبيعتين
مختلفتين : إلهية وبشرية ، يمكن للأولى أن تحل في الثانية إن تحققت
شروط معينة . ويتضح هذا المذهب خير ما يتضح عند الحلّاج
الذي قد تأثر ولا شك بفكرة المسيحيين عن اللاهوت والناسوت .
أما المذهب الثاني فذهب واحدى monistic يقول بحقيقة
واحدة كلية لها تعينات هي الحقائق الجزئية على اختلافها . الكل
هو التعينات والتعينات هي الكل وهذه وتلك هي الله . ويتضح
هذا المذهب خير ما يتضح عند ابن عربي .

هذا الخلط بين مذهب الحلول ومذهب وحدة الوجود قد وقع

عن ابن تيمية على هذا الوجه يفهم فهاً أولاً أن ابن تيمية ممن يرون الاستغناء عن النبوة لمن يسمون أنفسهم «متصلين» مع أن هذا الإمام رجل يقظ لم يتخبط في دينه على هذا النحو ، وقد ذكر هذه الفقرة في كلام طويل ينكر فيه تلك الفكرة ، ويشنع على القائلين بها ، ويجرح فهمهم وتعليلهم الذي استشهد به الدكتور على صحته . ويذكر ابن تيمية في كلامه الطويل أصحاب الرسول (ص) وأتباعه عن القول بمثل هذا التحريف ، فيراد هذه الجملة مستورة عما يتصل بها ليس من أمانة النقل ، ولا من الإنصاف في عرض المسائل الخلافية ، فضلاً عما فيه من إثارة الحفيظة الدينية نحو ابن تيمية ، وتصويره للناس في صورة جماعة هو من خصومهم . وليرجع من شاء إلى صفحة ٢٠ من الرسالة الأولى لابن تيمية ، ليعلم الفرق بين الأصل والنقل وكفى

عبد اللطيف البكي
المدرس في كلية الشريعة

وإني لأرجو غلباً أن يسج الكتاب على منواله ، كما أنني شديد التفاؤل ما دامت قد قامت الآن نهضة فلسفية يحمل عليها جلة من العلماء المعاصرين ، وفي زمرتهم الأستاذ صاحب « ابن رشد الفيلسوف » . ولا شك في أن للأزهر وأبنائه فضلهم العظيم في إحياء هذه النهضة التي ترمي إلى تيسير فهم الفلسفة على غير الفلاسفة ، وإثبات أن الدين والعقل متلازمان لا تنافر بينهما ، فينصف بذلك أمثال ابن رشد والفارابي وابن سينا وغيرهم على يد الأزهر وفلاسفة الأزهر . لهذا غمرتني موجة من الفطة حينما رأيتك وقد وفيت موضوعك حقاً ، وأعطيت ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، ويسعدني ما أشعر به من أن السواد الأعظم من الناس ستطمئن نفوسهم إلى الفلسفة وهم يرون الأزهر يحمل شعلتها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
المخلص
أصمير عامر
١٩٤٥ - ٥ - ٢٠

نقل مبثورة عن ابن تيمية

نشر الدكتور جواد على تعليقاً على ما كتبه معالي مصطفى عبد الرازق باشا عن الفيلسوف أبي سعيد أبي الخير ، وقد عرض الدكتور في نهاية كلامه للإمام ابن تيمية ، إذ نقل كلاماً مبثوراً من رسالته الأولى ، ونسبه على هذا البتر إلى ذلك الشيخ الجليل فكانت فيه ورقة للقارئ . وإليك ما كتب الدكتور ، واستشهد عليه بالنقل المبثور :

« ومتى خصص الإنسان كل قواه وحصر كل حواسه في الوجود الحقيقي ، بحيث اتصل به اتصالاً كلياً أدرك عندئذ — عين اليقين — متى وصل الإنسان إلى هذه الدرجة من المعرفة اتصل اتصالاً مباشراً بالمعرفة ... فلا حاجة إلى نبوة أو وسيط ، لأنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذي يأتي الرس »

وقد نسب الدكتور هذا التعليل المحجوز بين حاجزين إلى الإمام ابن تيمية ، دون أن يبين لنا : أهو يحكي هذه الفقرات عن غيره ، أم هو يقرر فكرة يراها ويستشهد لها ؟ والقارئ لما نقل

مجلس مديرية الشرقية إعلان

يعلن في المناقصة العامة عن توريد لوازمه في سنة ١٩٤٥-١٩٤٦ من الادوات الدراسية والكتابية والهندسية وخلاصات أقسام مؤسسة تربية الطفل . للتجارة . والنسيج والسجاد . والأحذية . والروحية . والطباعة . والخيزران . والموسيقى نحاسية . ووترية . والترزية . والتريكو . والملابس . وتطلب مجموعة المناقصة بالأصناف والشرط وثمنها ٢٠٠ ملجم على ورقة دمنه فئة ثلاثين مليماً . وتفتح المظاريف ظهر يوم الأربعاء ٢٣ مايو سنة ١٩٤٥ وللمجلس قبول أو رفض أى عطاء بدون ذكر السبب

الممياء : قوة الحديد والنار ، وتشابح القوة النصرية : قوة المدل والحريّة » .

والمقاد يسط في مقدمة الطبعة الثانية آراء عميقة : منها أن الخير والشر في هذه الدنيا لا ينفصلان ، وأن أشرف ما يعرفه الناس من الحق غيرتهم على ما يعتقدون أنه الحق ، ولكن الحق الذي تعرفه غير الحق الذي تتوخاه حركات الكون ، والسعادة المطلقة لفرد واحد منها إبادة مطلقة للنوع ، وكثيرون من الخلق يشكون من تفاوت الأعمار والحظوظ ، فإذا تساوى الناس في كل شيء ، فأى دنيا تكون هذه وأى حياة ؟ ولو أن هؤلاء الشاكين صار إليهم أمر الكون لحاربوا في تسييره فهدموا ، لأنهم لا يعرفون كيف يوفقون بين أجزائه التفاوت المختلفة ، لأنهم ناقصون ، ومحسبون أن الكون فوضى لأن جميع أجزائه غير كاملة ... فإذا أردنا حياة سميعة أقرب إلى الكمال فلننقهيها بلعنبا ، ولا نحاول التعبير عنها بلعنبا ، فقد صورت حقائقها مرة واحدة في كتاب نحن حروفه وكلماته وأرقامه ، فنحن إذن النتيجة لا المسألة ... والحروب دائماً ترزّل العقائد وتطفر بالناس والأخلاق ، ومقاييسها طفرات أخرى غير المؤلفه ، فتشكك قوماً وتجذب إلى الدين آخرين ... ولكنه يعتقد أن الفرة على الحق هي روح الإنسانية ، أو هي مظهر أنانيتها وحب البقاء فيها ، فإذا أريدت حياة سميعة ، فليسمع الناس صوت الطبيعة على سجيته قبل أن يضطروا إلى سماعه زججرة ووعيداً ، وليسمعه كل إنسان على شاكلته : الشرير فيبادي في شره ، والأمة فتقتضى على هذا الشرير ... ونسمعه الإنسانية فتحنى على الأمة التي تفرط في حقوق الحياة ، أو تمسخ عناصرها الباقية في الأمم إشاراً لنافعها المحدودة « وما دام هذا الصوت مسموع النداء ، فالعالم الإنساني ممدود البقاء »

وقد شرح العقاد هذه الآراء شرحاً جيلاً في رسالته ، على ألسنة الحيوان والإنسان ، فهو يتخيل القاب ، وقد وجد إنسان نفسه في هذا القاب ، ورأى هناك امرأة جميلة جليلة ولكنها ضريرة . هي الحياة ، أم المخلوقات ، وقد دعتهم إليها لتلقى إليهم



جمع الأحياء

كتاب العقاد قير فرادته الرّبه



كان فرحى بظهور هذا الكتاب فرحاً عظيماً ، لأن إعادة طبعه كانت رغبة ، بل أمنية ، استهيتها منذ بضعة عشر عاماً . وظهوره في طبعته الثالثة يدقّقاً في المكتبة المصرية ، لأن طبيعته الأوليين قد تناهت ولم نستطع الحصول عليه لندرة وجوده ، فلما ظهرت هذه الطبعة تلقيناها فرحاً فاف هو هذا الكتاب ؟

إن مقدمات العقاد لكتبه هي غالباً مفاتيح لشخصيته العظيمة المتعددة النواحي في تلك الكتب العديدة ، وهي شروح للظروف التي أوجت بها ، ولما تؤثرت التي أحاطت به فكتبها ، فلترجع إلى تصدير الطبعة الثالثة حيث يقول : « هذه الرسالة وليدة الحرب العالمية الماضية ... شغلنى موضوعها يومئذ ، لأنه موضوع الصراع في الحياة الإنسانية ، بل في الحياة عامة ، وأحببت أن أعرف لهذا الصراع معنى يطمئن إليه الضمير ، فانهيت بالرسالة إلى معنى فيه بعض الاطمئنان أو كل الاطمئنان ، وهو أن الحق والنواميس الطبيعية يتلاقيان »

ويقول فيها أيضاً : « وما هي ذى الطبيعة الثالثة لجمع الأحياء تصدر والدنيا مشغولة بحرب عالمية أخرى هي أشد هولا وأوسع مدى وأقوى اختلافاً على المبادئ والآراء من الحرب التي نشبت قبل ثلاثين سنة ، فإذا كان هناك خاطر يرد على الذهن في تصدير هذه الطبعة — خلال هذه الحرب القائمة — فذلك الخاطر مما يركى موضوع الرسالة ويؤيد تيجتها ، أو يسير بنا في وجهتها ، وهي أن الصراع الأكبر الذي نشهده اليوم سينتهي أيضاً إلى عاقبة فيها بعض الاطمئنان أو كل الاطمئنان ، لأنها تناقض القوة

بنياً خطير ، فأمرعوا من كل حذب وصوب يستمعون إليه ، وكل يراها في الهيئة التي يصورها له وهمه وخياله . .

وألفت عليهم كلامها فإذا هي تعاتب المخلوقات كلها على ما شجر بينها من خلاف وبغضاء وفتنة ... بطلن الأبيض على الأسود والأصفر على الأبيض وهذا على ذلك . وهي تدعوهم إلى الوثام فيما بينهم على اختلاف المذاهب والألوان ، ثم تشير على الإمامة - رمز السلام - لتحدثهم عن علم الإنسان وتواريحه وأديانه ، ليكون لهم منها عظة وعبرة وزاجر . فيؤمنون جميعاً على كلامها ، وكلهم طاهر الرضى والافتناع !

ووقت الإمامة تتكلم ، فذكرت حقائق من التاريخ الملموس المتكرر كل يوم ، بدأتها بالآية الكريمة « وزيد أن نحن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين وننكحهم في الأرض » . وشرحتها بالشواهد الملموسة ، وطالبت بالعدل والرحمة والأخاء بين القوى والضعيف !

وحينئذ وقف الثعلب قائلاً : وعظمتكم الإمامة وأوتيتكم بالضعفاء وقالت لكم إن الله بارك في مخلوقاته الضعيفة ليحرم عليكم قتلها ... ثم يعارض الثعلب الإمامة في كل ما قالت ويتملق القوة والأقوياء فيفوز أثناء كلامه (بتصفيق من جانب الأسد !) - أقوى الحيوان - وهو يتكلم كلاماً منطقياً عن العرف والقوانين ، فالسارق إذا سطا على بيت فضحوه ، والقاتل إذا سلب أمة أو أعمل فيها قتلاً عظموه ! وينتهى الثعلب ، ويوضح الآخرون بين معارض ومؤيد ، ثم يقوم القرد - وهو يمثل الطموح أو الطماع ... ولكنه التدين ذو الضمير الحى المتمسك بالعدل والحقوق والقوانين والوحدة . فإن في تماسك الضعفاء قوة ضد القوى الظالم الجبار . والديمقراطية الصحيحة النليمة جذيرة بخلق شموه نابغة صحيحة . أما الأرستقراطية المتعالية المتألهة فخالها وما آل خثالة شعبها جميعاً إلى الخسارة والفناء ، أو للصير الذي هو أسوأ من الفناء . هو حياة كاحية السائمة التهاككة !

ويا لها من مفارقة عجبية ! يدافع القرد عن الديمقراطية الصحيحة والأخاء والضمير ، ويحمل على مبدأ القوة الفاشية .

فيفضب الثمر فيكاد يضره فيتملق القرد بأطراف الشجرة ، ثم يقف الأسد فيها به الثمر فيخرس فالقرد الفيلسوف لم يستطع دقاً عن نفسه ، والأسد الشرس الأعم أرب الثمر ، ولا فصاحة ولا بلاغة ولا فلسفة !

فأخلاق الأسد هي أخلاق بني الإنسان الجبهة الأقوياء . القوة الظالة الفاشية ولا شيء غيرها !

ثم تكلمت المرأة . وكان كلامها طبيعياً ، تنكث اثرثرة الأبدية الخالدة عن حقوقها التي اغتصبها منها الرجل ، وعن نبوغها في أشياء وتقديرها في الأخرى ، ولكن الذنب ذنب الرجل ، وكأنها إن أصابت فن وحى عبقرتها . وإن أخطأت فن ظلم الرجل وتجنه عليها !

وها هو الرجل يعقب عليها فيقول إنه كان يحذر كل الحذر من يوم تعمل المرأة فيه إلى نصيب ولو قليل من الحرية لأنها شديدة الطيش والغرور ، ولا تنال القليل حتى تطمع في الكثير ، ولو أنها حرمت كل شيء لما طمعت في شيء ما ، وهي تخلط كل شيء بسفاسفها والأعبيها .

ثم ينكر عليها الحرية المطلقة التي تطلبها ، وهي تطلبها لأنها نوع جديد من الزينة ، وهي لا تفهم لها معنى ... وهذا كلام حق !

فالرأى الذي ينادى به العقاد هنا - منذ ثلاثين عاماً - يرجع العالم إليه فيندد بتلك الحرية التي منحها للمرأة فأساءتها . وقد خرجت كتب كثيرة هذه الأيام في المناداة بهذا الرأى ... ثم يقول الرجل : « أى مساواة للرجل تدعيها المرأة وهي إلى اليوم لا تجاريه في صناعة الطهي لو شاركها فيه ؟ »

فالمرأة لا تجيده وهي التي قضت الدهور والأجيال في تعلمه ، لأنه صناعتها الأولى ! فهل ملته ؟ وإذا كانت ملت هذه الوظيفة الطبيعية التي خلقت لها والتي أهلها لها الطبيعة - كما أهلها لوظائف الأمومة التي سلحتها لها بكل سلاح من تركيب الجسم ومن درجة الجمال - فما بالك بوظائف الرجل تراحه فيها ؟

مبين غنام